مجلة البيان – العدد 52 ، ذو الحجة 1412هـ / يونيو 1992م

الافتتاحية

من للمسلمين؟

حملت لنا الأنباء المذابح المروعة التي وقعت ولا تزال على مسلمي البوسنة والهرسك الذين كانوا إلى وقت قريب جزءاً من يوغسلافيا، هـذه الـمـذابح الـوحشية التي يمارسها الصرب المتعصبون والتي فاقت بكثير ما فعله إخوان لهم من الموارنة بحـق المسلمين الفلسطينيين في (صبرا وشاتيلا) . مئات الألوف شردوا وقرى بكاملها أتى عليها الذبح فلم ينج منهم شيخ ولا وليد ، كل هذا لم يحرك ساكناً من أكثر الدول التي تحكم المسلمين، لم يحتجوا، ولم يشجبوا ولم يسحبوا سفراءهم (1) بَلْه أن نتكلم عن الدعم المادي لمسلمين يتعرضون لأبـشـع أنواع الظلم .

كـمـا حملت لنا الأنباء خبر هجوم نصارى الأرمن على قرى المسلمين في إقليم (ناخيتشفان) واحـتـلالهم لهذا الإقليم لعزل تركيا عن الاتصال بمسلمي أذربجيان ، وللوصول إلى مناطق الأرمن في أذربجيان ومع أن تركيا لها حق قانوني في إقليم (ناخيتشفان) نتيجة معاهدة مع (ستالين) روسيا، ولكنها لم تحرك ساكناً لقمع الأرمن وإبعادهم عن إيذاء المسلمين،واكتفت بالتهديد ، حتى لا يقال عنها بأنها دولة متعصبة تحمي المسلمين .

أمـا فـي (البوسنة والهرسك) فقد بلغت وحشية الصرب إلى درجة جعلت الدول الغربية في موقـف حـرج أمـام الـعالم فـاضـطـرت إلـى استخدام قرارات الأمم المتحدة لمقاطعة الصرب اقتصادياً كما استخدمتها سابقاً مع غير الصرب، وربـمــا كـانـت الدول الغربية أسرع من غيرها في مقاطعة الصرب والكلام عن وحشيتهم .

تأثـرت الـشـعـوب الإسلامية لما يحدث ، وتجاوبت مع مسلمين خرجوا لتوهم من جحيم الديكتاتورية الاشـتـراكية ، وبدأت حملات التأييد المادي والمعنوي ، واستطاع المحسنون والمؤسسات الإسلامـيـة إيـصـال هـذا الـدعـم إلى مـسلمي البوسنة . وهذا شيء يبعث على الارتياح ، فالشعوب الإسلامية بدأت تدرك حـجـم التحدي الذي يتعرض له المسلمون في العالم .

هــذا جـانـب مــن الـصــورة والجـانـب الآخر هو خروج بلاد بكاملها من ربقة الشيوعية والاستعباد ومحاولة الرجــوع إلـى الإسلام ، وهؤلاء بحاجة شديدة إلى العلم والدعوة بين صفوفهم . هذه الأوضاع لا تحتـمـل التأجيل ، بل هي بحاجة إلى (غرفة عمليات) دائمة الاجتماع لبحث أوضاع الـمـسـلمين ومساعدتهم . فمن يتبنى هذه الأوضاع؟ ليس هناك إلا العلماء والدعاة الذين هم قادة الأمة ، وهم المكلفون بما يجري الآن على الساحة الإسلامية ،

وباجتماعهم واتحادهم سيسمع الناس كلمتهم ويستطيعون تقديم العون المادي ونشر العلم ، والدعوة بين صفوف الجهلة من المسلمين .
هذا المكان شاغر لهم ، وإذا كان علماء الملل الأخرى هم شرارها وآكلو أموالها ، فإن العلماء في الملة الإسلامية هم خيارها وقادتها الـمـتـبوعون فليتصدوا لهذه المهمة التي هي من عمل الأنبياء والمرسلين .
وفي هذه الأيام التي يمارس فيها المسلمون شعائر عبادة عظيمة وهي الحج فإننا نتذكر أبا الأنبياء، إبراهيم -عليه السلام-، الذي كان أمة وحده وقد تصدى للشرك وحده، وهاجر وحده وبنى أول مسجد للتوحيد.
إنه موسم مناسب لأن يتذكر الدعاة والعلماء أن دورهم المطلوب منهم كبير وخطير ، وأنهم يستطيعون فعل الكثير، فالساحة مفتوحة والشعوب متلهفة،تنتظر القيادة الحكيمة والعلماء الأتقياء، الذين يتفانون في مصلحة الدعوة، ويعلمون أن التحدي الكبير لا يقابل إلا بالعمل الكبير ألا وهو اجتماع الكلمة .

الهوامش:

1- بعضهم سحب سفيره بعد قرار الأمم المتحدة بمقاطعة الصرب.

عوامل ومؤثرات في تدوين العقيدة الإسلامية

عثمان جمعة ضميرية

انتهينا فيما سبق إلى أن هـنـاك جملة من الـعوامل الداخلية في نشأة علم العقيدة واستقلاله عن العلوم الأخرى ، وقد عـرضـنـا لـتـلـك الـمؤثرات في الحلقة السابقة . وفيما يلي إيجاز العوامل الخارجية التي ساهمت في نشوء وتطور التدوين في الجانب العقائدي .

- 1 -

ويمكن أن نجمل هذه العوامل الخارجية في احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الفلسفية، إما عن طريق اللقاء الـمـبـاشـر والـجـدل مع أصحابها ، أو عن طريق الترجمة التي بدأت في عهد الدولة الأموية ، ثم اتسعت في عهد الدولة العباسية ، وكان للخليفة المأمون أثر كبير في هذا ، حيث فعل ما لم يفعله السابقون ، وهو أنه ترجم الكتب الخاصة بالإلهيات والأخلاق وأمثال ذلك مما سموه بـ "ما وراء الطبيعة" .
وليس من هدفنا - هنا - أن نعرض بالتفصيل لحركة النقل والترجمة وأثرها والمنهج الذي سارت عليه والطريق الذي اتخذته . فحسبنا إشارة سريـعـة إلـى الاحـتـكـاك المباشر بين المسلمين واليهود من جهة ، وبين المسلمين

والنصارى من جهة ثانية ، وكذلك ما كان من احتكاك بالمجوس ، ثم بالفلسفة اليونانية وغيرها، عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتهيأت الأسباب لذلك .

- 2 -

فاليهود الذين عاصرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة بعد الهجرة ، هم الذين كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ببعثة نبي جديد ، هؤلاء هم الذين كفروا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وناصبوه العداء من اللحظة الأولى ، وتنوعت وسائلهم في الصدَّ عن الدعوة ، والمماطلة والجدال ، وإلقاء الشبهات ، والحرب الفكرية والنفسية .

وكان القرآن الكريم يتولى مناقشتهم والردَّ عليهم وبيان مؤامراتهم ، كما أوضح تحريفهم لكتبهم المنزلة ، ورسم صورة صادقة لطبيعتهم ونفسيتهم .

وبعد أن خرج يهود من الجزيرة العربية - في أعقاب مؤامراتهم ونقضهم للعهود - ليقوموا بدور كبير في عدائهم لهذا الدين ، ومنهم من دخل فيه ظاهراً - وهم على حقد وضغينة - بدأ اتصالهم بالمسلمين لإثارة الفتنة ، فكان لعبد الله ابن سبأ دوره في الفتنة في عهد عثمان -رضي الله عنه- ، ثم تتابعت مظاهر الفتنة في نشر فكرة الإمام المعصوم والرجعة التي تلقفتها عنه الفرق الباطنية(1) ، وأثاروا الجدل بين المسلمين حول الذات الإلهية والصفات .

واليهود معروف عنهم التشبيه والتجسيم كما هو في كتبهم . وقد انتقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي ، مما عرف بـ "الإسرائيليات" في كتب التفسير والحديث .

وأثاروا أيضاً بين المسلمين الجدل حول الجبر والاختيار ، وغير ذلك من أمور عقائدية .

وعندئذ قام المسلمون بالردَّ على مفتريات يهود ودحض شبهاتهم ، وناقشوا عقائدهم ، واصطنعوا لذلك منهجاً يقوم على النظر والدليل ، فكان من ذلك تراث إسلامي ضخم من كتب العقيدة والملل والنّحل..

- 3 -

وأما النصارى ؛ فقد بدأ الجدال بينهم وبين المسلمين في هضبة الحبشة أولاً - عند الهجرة الأولى للمسلمين - في حقيقة المسيح ، وفي الكلمة وغيرها من المسائل التي تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح .

ثم وفد نصارى نجران إلى المدينة وجادلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأن عيسى -عليه السلام- ، وقد دعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المباهلة ، كما في سورة آل عمران ، آية(61) .

ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق ومصر، فبدأت النصرانية تنازعه نزاعاً فكرياً شديداً(2). وثـار الجـدل حـول طبـيعـة المسيح، وحول مسائل الألوهية، وفكرة الجوهر والعَرَض، والأقانيم الثلاثة ، والوحدانية، وفكرة الخطيئة والفداء والصلب ، وبلغ الجدل ذروته من الشدة بعد "يوحنا

الدمشقي" - طـبـيـب الأمــويين الذي وضع للنصارى أصول الجدل مع المسلمين - وبلغ ذروته وشدته على يد "يوحنا النقيوسي" المصري الذي رحل إلى الحبشة وبدأ يرسل رسائله إلى أقباط مصر ، يحاول فـيـهـا مناقشة العقائد الإسلامية ، والحيلولة دون اعتناق الأقباط للإسلام . ثم تتابع النقاش في عهد العباسيين .
وساعد هذا الجدل في توجيه الأنظار إلى معالجة مسائل جديدة ومشكلات عقائدية ظهرت على سطح المجتمع الفكري . وقد يكون "علم الكلام" أيضاً - كما سمي في فترة من الزمن - نتيجة التأثر بالكلام النصراني أو علم اللاهوت المسيحي!

- 4 -

وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها ، أثر في بعض المسلمين الذين فتنوا بها ، فـحـاولــوا التفلسف في ضوئها ، وتأثروا بها منهجاً وموضوعاً، حـيـن راحـوا يفـسَّـرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة ، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام ، وقرؤوا الـقــرآن الـكـريم على ضوء الفكر اليوناني - على حد تعبير المفكر محمد إقبال رحمه الله- (3) .
وقام فريق من علماء المسلمين يزيفون آراء الفلاسفة وتهافتهم ، ويقيمون صرح التفكير الإسلامي على أسس مغايرة لها ، وكان نتيجة ذلك كثير من الكتب والمؤلفات في الجانب العقائدي .
وليست هذه الفلسفة هي كل ما اتصل به المسلمون وردُوا عليه ، فهناك أيضاً : المذاهب الغُنُوصِيَّة الشرقية(4) ، وقد قابل الإسلام هذه المذاهب في جميع البلدان التي دخلها بلا استثناء ؛ فقابلها في العراق وفي إيران ، وقابلها في مصر في شكل الأفلاطونية المُحْدَثَة .
وقــد بــدأ غــنــوص تلك المذاهب يهدم الإسلام ، منذ قوَّض الإسلام عقائد تلك المذاهب وطقوسـهـــا القديمة . وكانت من أخطر المذاهب الهدامة التي جالدت الإسلام.. حاربته بالسيف والـقـلــم ، وهاجمته بقوة وعنف . على أن هذه الدعوة ما زالت آثارها حتى الآن تتمثل في غلاة الشيعة وفي الإسماعيلية وفي البهائية(5) .
اتـصـل الـمسلمون بهذه المذاهب السالفة ، وناقشوا اصحابها ، وردَّوا عليها ، ومن خلال الـمـنـاقــشـة والــرد كانت تتضح - كذلك - الجوانب العقدية التي يدعو الإسلام إليها ، فنشأت الكتابة في العقيدة الإسلامية .

- 5 -

ومن هذا العرض الموجز للعوامل والمؤثرات في نشأة وتدوين علم العقيدة يمكن القول بأن هذه النشأة كانت "استجابة لضرورة طبيعية ملحّة ، تمثلت في مشكلات سياسية واجتماعــية ، نجمت في حياة المسلمين ، وباتت تهدد -

باستفحالها المطّرد - البناء الديني الذي قـــام عليه المجتمع الإسلامي . كما تمثلت في تحديات دينية وفلسفية مع الأديان والفلــسـفـات الـقـديـمــة، بـاتــت تروج بين المسلمين وتهدد بنية العقيدة الإسلامية. فهذه الـمـشـكـلات والتحديات دفعت الفكر الإسلامي - في سبيل الدفاع عن مرجعيته العقدية - إلى أن يتجه إلى معالجة تنظيرية ، فكانت نشأة علم العقيدة بمنزلة الاستجابة لتحديات ناجمة من صميم واقع المسلمين"(6) .

ولذلك ينبغي الالتفات إلى التحديات المعاصرة ومناقشتها وبيان حكم الإسلام فيها ، بدلاً من الإغراق في دراسة قضايا وأمور انتهت منذ أمد بعيد أو لم يعد لها أثر في حياة المسلمين ، ويمكن أن يلتفت المسلمون اليوم للاهتمام بقضايا كثيرة مثل قضية الحاكمية ، والمذاهب المعاصرة كالعلمانية والقومية والعقلانية ، وقضايا الإنسان ودراسة علاقته بالكون ومن حوله... الخ وهذا ما وجدناه في كتابات رائدة للأستاذ سيد قطب -رحمه الله- عن "التصور الإسلامي" والأستاذ محمد قطب -حفظه الله- عن "مذاهب فكرية معاصرة".. وفي سلسلة "قضايا العصر على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة" للشيخ محمد سرور زين العابدين .

- 6 -

ولئن كانت مواجهة تلك العوامل - التي أشرنا إليها - أمراً ضرورياً ، فإن بعضها قد سبب انحرافاً في المنهج الذي سلكه بعض العلماء ، متمثلاً في علم الكلام ، الذي وقف منه علماء السلف موقفاً متشدداً ، وحذروا منه تحذيراً كبيراً .

وفي هذا يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- :

"ولقد وقع في طور من أطوار التاريخ الإسلامي أن احتكت الحياة الإسلامية الأصيلة المنبثقة من التصور الإسلامي الصحيح بألوان الحياة الأخرى التي وجدها الإسلام في البلاد المفتوحة ، وفيما وراءها كذلك ، ثم بالثقافات السائدة في تلك البلاد .

واشتغل الناس في الرقعة الإسلامية - وقد خلت حياتهم من هموم الجهاد ، واستسلموا لموجات الرخاء... وجدت في الوقت ذاته في حياتهم من جراء الأحداث السياسية وغيرها مشكلات للتفكير والرأي والمذهبية - كان بعضها في وقت مبكر منذ الخلاف المشهور بين علي ومعاوية - اشتغل الناس بالفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية التي ترجمت إلى اللغة العربية... ونشأ عن هذا الاشتغال - الذي لا يخلو من طابع الترف العقلي في عهد العباسيين ، وفي الأندلس أيضاً - انحرافات واتجاهات غريبة على التصور الإسلامي الأصيل ، التصور الذي جاء ابتداءً لإنقاذ البشرية من هذه الانحرافات ، ومن مثل هذه الاتجاهات ، وردَّها إلى التصور الإسلامي الإيجابي الواقعي ، الذي يدفع بالطاقة كلها إلى مجال الحياة ، للبناء والتعمير ، والارتفاع والتطهير ، ويصون الطاقة

أن تُنْفَق في الثرثرة ، كما يصون الإدراك البشري أن يُزَجَّ به في التيه بلا دليل .
ووجد جماعة من علماء المسلمين : أنه لا بد من مواجهة آثار هذا الاحتكاك بردود وإيضاحات وجدل حول ذات الله -سبحانه - وصفاته ، وحول القضاء والقدر ، وحول عمل الإنسان وجزائه ، وحول المعصية والتوبة.. إلى آخر المباحث التي دار حولها الجدل في تاريخ الفكر الإسلامي ، ووُجِدت الفرق المختلفة : خوارج وشيعة ومرجئة ، قدرية وجبرية ، سنية ومعتزلة.. إلى آخر هذه الأسماء .
كذلك وجد بين المفكرين المسلمين من فُتِن بالفلسفة الإغريقية - وبخاصة شروح فلسفة أرسطو - أو المعلم الأول كما يسمونه - والمباحث اللاهوتية (الميتافيزيقية) وظنوا أن الفكر الإسلامي لا يستكمل مظاهر نضوجه واكتماله ، أو مظاهر أبُهَّته وعظمته ، إلا إذا ارتدى هذا الزي - زي التفلسف والفلسفة - وكانت له فيها مؤلفات!
وكما يفتن منا اليوم ناس بأزياء التفكير الغربية، فكذلك كانت فتنتهم بتلك الأزياء وقتها، فحاولوا إنشاء (فلسفة إسلامية) كالفلسفة الإغريقية ، وحاولوا إنشاء علم الكلام على نسق المباحث اللاهوتية مبنية على منطق أرسطو!"(7) .

الهوامش :

1- انظر: رؤية إسلامية ، للأستاذ محمد قطب ص (77-79) ، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام تأليف سليمان بن حمد العودة ص (37) وما بعدها .
2- نشأة الفكر الفلسفي ، للنشار : 1/62 .
3- انظر تجديد الفكر الديني في الاسلام ، تأليف محمد إقبال ص (8-9) .
4- الغنوص أو الغنوسيس ، كلمة يونانية الأصل ، معناها المعرفة . غير أنها أخذت معنى اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا ، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقي في النفس دون استدلال أو برهنة عقلية. انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور على سامي النشار : 1/186-187، المعجم الوسيط : 2/664.
5- الفكر الفلسفي ، للدكتور النشار : 1/62-63 .
6- في فقه التدين: فقهاً وتنزيلاً للدكتور عبد المجيد النجار : 2/ ه2-26 "كتاب الأمة".
7- خصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب ص (11-12) .

خواطر في الدعوة

عالم الاقتصاد
(2)

محمد العبدة
قال لي صاحبي : ما كتبته في الخاطـرة السابقة عن علاقة المسلم بعالم الاقتصاد فيه عموم ونحن بحاجة إلى الأمثلة التفصيلية، قـلـت : سـأتكـلم عن الحالة الفردية المبسطة جداً ، ولـيس هنا مجال الكلام عن التخطيط الاقتصادي ، أو أهمية الاقتصاد . حالة الفرد المسلم الذي يشعر بأهمية (المال) وكيف يساهم في التخفيف مـن ضـغـوط الاقـتـصـاد الـرأسمــالـي والاقـتصاد الاستهلاكي المسلط على رؤوسنا ، ومن الأمثلة التفصيلية التي يعرفها ولا شك كثير من المسلمين ولكنها للذكرى ، ولمزيد من إعطاء الأهمية لعالم الاقتصاد :
* لـماذا لا يتعلم الشاب المسلم مهنة أو أكثر من المهن التي يحتاجها الإنسان بين الحين والآخر يتعلمهما ولو من قبيل الهواية وليس لكسب الرزق من خلالها ، فيستطيع إصلاح أمـور مـنزله ، أو مركوبه ، أو شتى حوائجه كما كان يفعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فـيصلـح نعله ويرقع ثوبه وقد منَّ الله سبحانه وتعالى على سيدنا داود بأن علمه ((صنعة لبوس لكم)) ، وفـي المجتمع الأوربي الآن قلَّ أن يخلو منزل من أدوات إصلاح المنزل ، إصلاح الكهرباء أو الجدران أو الحديقة..
* لماذا لا نحرص على موضوع الاستثمار، الذي يفيد الفرد والمجموع ، والاستثمار يأتي من تجمع (المال) ومن ثمَّ إدخـالـه فـي دورة الإنتاج الاقتصادي (زراعة وصناعة وتجارة) وتجمع المال قد يأتي من التوفـيـر ولو كان قليلاً ، ودورة الإنتاج هذه تخفف من البطالة التي ينتج عنها من المشاكل ما الله به عليم .
إن الـشـاب الـمـسـلـم الذي يجد نفسه عالة على أسرته أو أصدقائه ويجد من نفسه القوة والنشاط والفاعلية ثم لا يسـتـطـيع أن يعمل شيئاً ، كل هذا سيؤثر في نفسيته بل وبطريقة تفكيره .
* يلاحـظ أن كـثـيـراً مـمـن يمـلـك الـمـال فـي مجـتـمـعـاتـنا يميل إلى استثمارها في الأمور الاستهلاكية ، فهو إما مستورد لحاجات صنعت في الخارج أو يقـوم بالـوسـاطـة التجارية وهذا كله حباً في السهولة والربح السريع ، وبعداً عن المشاريع التي تفيد الـمـسـلـمـيـن في الزراعة والصناعة .
* قد تجد المسلم الـمتدين ولكن زوجته تنفق أموالاً طائلة على الكماليات في المسكن والملبس وهو يرافقها ولا يجد حرجاً في ذلك وقد لا يخطر في باله أن هذه الأمور مما يجب الاهتمام بهـا والـتـنـبـه لـهـا ، وأين هذا من صنع السيدات الفاضلات في مجتمعاتنا الإسلامية قبل مجيء عصر الاستهلاك،

حيـن كـانت المرأة المسلمة تدير المنزل أحسن تدبير، فلا إسراف ولا تقتير، بل وتخرّج أجيالاً تمرسوا على هذا التدبير .
هذه أمثلة بسيطة والموضوع بحاجة إلى مزيد من الوضوح ، وإني أجد نفسي لم أعبر تماماً عما أريده من (المسلم الاقتصادي) .

من كان معه فضل من زاد .. فليعد به على من لا زاد له

هيثم الحداد

إن الـنـاظر بتأمل في أحوال كثير من المسلمين اليوم ليكاد يجزم أنهم يعيشون لدنياهم فقط، وكـأن الآخرة وأهوالها والجنة ونعيمها والنار وعذابها المقيم ، أحلام ليست واقعاً سننتهي إليه ولا محالة ، وإلا فـمـا هـو سـبـب قـعـودنـا عن كثير من أعمال الطاعات التي هي في مقدورنا دون كبير كلفة أو بالغ مشقة .
ولنضرب لذلك مثلاً :
هـل فـكـر أحدنا في التوفير للدعوة ، نعم التوفير للدعوة ، ألسنا كلنا اعتدنا التوفير لأمور مادية بحتة وقد تكون ليست ذات بال ، فبعضنا يقتر على نفسه أحياناً ويصنع ما يسمى بترشيد الإنفاق من أجل أن يجمع مبلغاً من المال لشراء سيارة جديدة وربما لشراء شيء من الأثاث، والكثير يعمل ذلك من أجل أن يشيد بيتاً يؤمن له مستقبله ومستقبل أولاده ، ومع هذا لم نفكر في تشييد مستقبلنا السرمدي .
قرأت عن مشروع تتبناه هيئة خيرية، وهـو عـبـارة عـن بـنـاء مجـمـوعــة مـن المساجد في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ، يكلف بناء المسجد الـواحد مـنها أثـني عشر ألف ريال تقريباً .
يــا إخوة ألسنا كلنا نعلم أجر بناء المساجد وتعميرها ، ألسنا كلنا نحفظ حديث رسول الله - صـلـى الله عليه وسلم - "مـن بـنـى مـسجـداً بنى الله له بيتاً في الجنة"، لم لا نفكر في التوفير من أجل بناء بيت في الجنة ، لم نـبـخل على أنفسنا ((ومَن يَبْخَلْ فَإنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ واللَّهُ الغَنِيُّ وأَنتُمُ الفُقَرَاءُ)) .
انظر إلى هذا الـمبلغ الذي يستطيع أحدنا توفيره بسهولة ، والذي لو أردنا توفيره من أجل شراء سيارة لـما ترددنا في فعل ذلك طرفة عين . وإليك مثلاً آخر ، تقول تلك الهيئة : إن تـكـلـفـة الـمـصحف الواحد وإيصاله إلى تلك البلاد ثلاثة ريالات ، أتدرون ما هي الثلاث ريـالات! إنها قـيـمـة قـطـعة من الحلوى أو قارورتين من المشروبات الغازية ، ألا نستطيع الامتناع عن تلك المشروبات بضعة أيام من أجل أن نشتري مصحفاً لأحد أبناء الـمسلمين ، إنه صدقة جارية يبقى لك بعد مماتك ، ولعل قارئه كلما قرأه دعا لمن تبرع به ، وكم ينشر من

علم وخير ، ولا تستكثر يا أخي الأجر ، فالله كريم واسع الفضل والعطاء ، وكلتا يديه يمين سحاء الخير ، ليلاً نهاراً .
ولـو جـال أحـدنا بخاطره وتمعن في مصروفاته اليومية فإنه سيجد نفسه قادراً على التخلي عن كثير منها ، واستبدالها بما ينفعه في أخراه ، ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ)) .
ولقد شرع الإسلام الـتـكافـل المالي بين المسلمين ، ومن المواساة والترابط وسد الحاجات وفي الحديث (1) صورة رائعة لتطبيق هذا النظام، وذلك عندما يوجد في المجتمع المسلم بسبب بـعـض الـظـروف طوائف بلغت من الفقر حداً لا تستطيع معه تلبية حاجياتها الأساسية ، فعند هذه الحالة يلزم الإسلام أصحاب فضول الأموال أن يخرجوا من فضول أموالهم - ولو من غير مال الزكاة - ما يسد حاجة إخوانهم .
إنـنـا نـعـيـش اليوم أحوال ضرورة توجب علينا ما لا يجب في الأحوال العادية، ذلك أننا نعلم يقـيـنـاً بوجود حاجة ماسة لكثير من المسلمين في عدة جوانب ، فكثير من - المسلمين يموتون جوعاً أو عطشاً أو برداً، فهم بحاجة إلى المال للحفاظ على حياتهم ، والإبقاء على مهجة المسلم واجب .
وكثير منهم يتنصرون بسبب عمل النصارى الدؤوب في الدعوة إلى دينهم ، وقعودنا نحن عن هذا الواجب ، فأولئك المسلمون بحاجة إلى المال الذي يوظف دعاة ويمدهم برسائل الدعوة ، والحفاظ على الدين من أهم الواجبات .
وهناك أسرى كثيرون للمسلمين في بقاع شتى، وبلاد إسلامية محتلة من قبل الكفرة ، وتلك وهذه تحتاج إلى المال من أجل فكاك أسرها ، وقد قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: "يجب على الناس افتداء أسراهم وإن استغرق ذلك جميع أموالهم)) .
لـقــد شــرعــت الزكاة لسد تلك الحاجات وأشباهها، فإذا انسدت حاجتهم لم يكن هناك مسوغ لأخذ غير الزكاة من أمـــوال الأغـنـياء، وللأغنياء عندئذ التوسع في المباحات ما لم يبلغوا حد الإسراف .
لكن قد يحدث أن لا تفي أموال الزكاة بسد تلك الحاجات ، إما لقلتها أو لأن كثيراً من الأغنياء امتنعوا عن أدائها ولا سلطه تلزمهم بدفعها ، أو حينما لا يتمكن من إيصالها إلى المحتاجين في الوقت المناسب ، كأن يرى المسلم معصوماً يشرف على الهلاك جوعاً أو عطشاً ، أو أسيراً مسلماً حانت فرصه لافتدائه وإن لم يفتد الآن فسيقتل ، وغير ذلك من الصور . فمن أجل هذه الحالات وأشباهها أوجب الفقهاء على المستطيع ، وهو من يجد فضل مال أن يخرج من ماله ما يسد حاجة المحتاج . وإن كان العلماء قد اختلفوا في مسألة "هـل فـي الـمـال حـق سوى الزكاة" ، إلا أنه عند تحرير محل النزاع نجد أن هناك قدراً مشتركاً لم يختلفوا فيه ، فقد اتفقوا على وجوب نفقة الزوجة

والأولاد مثلاً ، وهذا لا شك مال يجب على الإنسان إخراجه غير مال الزكاة ، وقد اتفقوا على وجوب إطعام المـشـرف على الهلاك جوعاً ، ولو من غير مال الزكاة .
فبناء على هذا يظهر أن محل الخلاف بين الفريقين في إيجاب حق دوري، مــقـدر بـقـدر معين يلزم كل من ملك نصاباً ، في جميع الأحوال ، فبهذا يكون موضوعاً خارج عن محل الخلاف (2). ويــدل على ذلك أن الـقـائـلـيـن بـعدم إيجاب مال سوى الزكاة في المال هم أنفسهم يستثنون الأحوال العارضة، فهذا الجصاص الحنفي يقول: "إن المفروض إخراجه هــو الزكاة المفروضة إلا أنه تحدث أمور توجب المواساة والإعطاء ، نحو الجائع المضطر ، والـعـاري المضطر ، أو ميت ليس له من يكفنه أو يواريه"(3). وهذه المسألة تشهد لها أدلة كثيرة :
فأولها: القواعد الكلية للشريعة ومقاصدها العامة، التي جاءت بحفظ مصالح العباد، والتي حرمت دين المسلم، ونفسه، وعرضه، وعقله، وماله، وجعلت تلك الأشياء من الضروريات التي يجب المحافظة عليها وإن ترتب على ذلك بعض المفاسد .
وما من شك أن مفسدة ذهاب الدين ، أو هلاك النفس أعظم من مفسدة أخذ مال الغير الذي يفيض عن حاجته الأساسية . ووضوح هذا الأمر يجعل من غير المستغرب أن ينقل الإجماع على ذلك، وممن نقل الإجماع ابن العربي المالكي ، والقرطبي، قال ابن العربي المالكي: "ولـيـس فـي الـمـال حق سوى الزكاة، وإذا وقع أداء الزكاة ونزلت بعد ذلك حاجة، فإنه يـجـب صــرف الـمال إليها باتفاق العلماء"(4) . والقواعد الكلية للشريعة ومقاصدها العامة كـافـيـة في إيجاب هذا الأمر ، لكني أورد طائفة من الأحاديث والآثار التي توجـب ذلك، مقرونة بكلام العلماء ، زيادة في البيان وتقوية في الحجة . فمن تلك الأدلة :
عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:" »إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية ، فهم مني وأنا منهم« " رواه البخاري ومسلم ، فـقـد ســر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما كان يفعله الأشعريون إذا أرملوا وبشرهم بأنه منهم وهم منه ، وهذا دليل على أنه لا يريد أن يكون المجتمع طبقتين : طبقة مترفة تــكــدس الأموال في جيوبها ، وطبقة معوزة لا تجد غنى يغنيها ، وفي ذلك من الفساد ما فيه"(5) .
وقد صح عن أبي عبيدة بن الجراح وثلاثمائة من الصحابة -رضي الله عنهم- : أن زادهم فني ، فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم في مزودين ، وجعل

يقوتهم أيها على السواء . قال ابن حزم : فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة -رضي الله عنهم- لا مخالف له منهم (6) .
وعن ألي بكر -رضي الله عنه- : أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال مرة، من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس ، أو كما قال ، وأن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبي بعشرة (7) ، قال ابن حجر في فتح الباري : "وفيه التوظيف في المخمصة".(8)
وفي حديث مسلم في القوم الذين جاؤوا رسول الله، مجتابي النمار متقلدي السيوف عامتهم من مضر فتمعر وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -لما رأى ما بهم من الفاقة، فخطب الناس وحثهم على الصدقة فتصدق الناس حتى تجمع كومان من الطعام ، ففرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تهلل وجهه كأنه مذهبة... فتمعُّر وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث دليل على كراهته وجود مضطرين في المجتمع المسلم وفيه من يملك مواساتهم، وإزالة الضرورة عنهم، فلما رأى إسراع الصحابة، رضوان الله عليهم، إلى مواساة هؤلاء تهلل وجهه ورضي بما صنعوا ، إيماء إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه أعضاء المجتمع المسلم كله(9) .

آثار الصحابة:

لقد كان عام الرمادة بمثابة الاختبار، لواقعية هذا النظام ، ولمقدرته على تجاوز الأزمات، ولـقـد كـان للـفـاروق عمر بن الخطاب مواقف رائعة جداً في ذلك ، تعكس عظمة الإسلام وروعة نظامه .
وقـد أورد ابن سعد في الطبقات جملة من الآثار عن عمر بن الخطاب في موقفه من المجاعة تــدل كلها - إما نصاً أو معنى - على وجوب التكافل بين المسلمين ، وأن على أصـحـاب فضول الأموال أن ينفقوا من فضول أموالهم ، حتى يسدوا حاجات الفقراء ، بل وعلى والي المـسـلـمـيـن أن يـأمــرهم بذلك ، وهذا يكون إذا لم تف أموال الزكاة ، أو أموال بيت مال المسلمين بذلك .

فمن هذه الآثار :

أن عمر- رضي الله عنه- كتب إلى عمرو بن العاص عام الرمادة:"بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى العاصي بن العاصي، سلام عليك، أما بعد أفتراني هالكاً ومن قبلي ، وتعيش أنت ومن قبلك ؟ فيا غوثا ، ثلاثاً" .(10)
وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب حرم على نفسه اللحم عــام الـرمـادة حتى يأكله الناس(11).
وعن ابن عمر أن عمر قال لو لم أجد للناس من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على كل أهــل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحيا فعلت ، فإنهم لن يـهـلـكـوا على أنصاف بطونهم (12) .

وقال -رضي الله عنه-:"لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المـهـاجــرين" قال ابن حزم في إسناد هذا الأثر إسناده في غاية الصحة والجلالة(13) .
وعن علي بن أبي طالب:"إن الله تــعـالـى فــــرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه"(14) .

نصوص العلماء في ذلك :

لقد كانت هذه المسألة من الأهمية بمكان عند العلماء، حتى أنهم بحثوها في مواطن متعددة وإليك جملاً من نصوصهم :

الحنفية:

قال الجصاص :"إن عارية هذه الآلات - يعني القدر والفأس ونحوها - قد تكون واجبة في حال الضرورة إليها ، ومانعها مذموم مستحق للذم ، وقد يمنعها المانع لغير الضرورة ، فينبىء ذلك عن لؤم ، ومجانبة أخلاق المسلمين ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :»بعثت لأتمم مكارم الأخلاق«(1) .

وعند المالكية :

في أحكام القرآن لابن العربي : "وليس في المال حق سوى الزكاة ، وإذا وقع أداء الزكاة ونزلت بعد ذلك حاجة فإنه يجب صرف المال إليها باتفاق من العلماء .
وقد قال مالك : يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وكذلك إذا منع الوالي الزكاة ، فهل يجب على الأغنياء إغناء الفقراء ؟ مسألة نظر أصحها عندي وجوب ذلك عليهم (16) .
وقال القرطبي : "واتفق علماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة ، يجب صرف المال إليها ، قال مالك : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع ، وهو يقوي ما اخترناه"(17) .
وفي الشرح الكبير لمختصر خليل : "وقاتل المضطر جوازاً ، رب الطعام ، ولو مسلماً ، إن امتنع من دفعه له ، عليه ، أي على أخذه منه ، بعد أن يعلم ربه ، أنه إن لم يعطه قاتله ، فإن قتل ربه - رب الطعام - فهدر"(18) .

الشافعية :

في كتاب الأطعمة :

قال في مغني المحتاج : "أو وجد طعام حاضر غير مضطر له لزمه أي غير المضطر إطعام مضطر معصوم مسلم أو ذمي أو نحوه كمعاهد ، ولو كان يحتاج إليه في ثاني الحال على الأصح للضرورة الناجزه بخلاف غير المعصوم كالحربي ، فإن امتنع وهو أو وليه غير مضطر في الحال ، من بذله بعوض لمضطر محترم ، فله أي المضطر قهره على أخذه ، وإن احتاج إليه المانع في المستقبل ،وإن قتله.."(19) .

وفي نهاية المحتاج : "ومن فروض الكفاية دفع ضرر المسلمين ، ككسوة عار، وإطعام جائع ، إذا لم يندفع بزكاة وبيت مال ، على القادرين وهم من عنده زيادة على كفاية سنة لهم ولممونهم ، وهل المراد من نفع ضرر من ذكر : ما يسد الرمق أم الكفاية ؟ قولان ، أصحهما ثانيهما ، فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على ما يليق بالحال من شتاء أو صيف ، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما من أجرة طبيب ، وثمن دواء ، وخادم منقطع ، كما هو واضح"(20) .

الحنابلة :

بحثت في عدة مواطن من كتبهم :

في كتاب الصيد والذبائح ، فعند المغني : "وجملته أنه إذا اضطر فلم يجد إلا طعاماً لغيره ، نظرنا فإن كان صاحبه مضطراً إليه ، فهو أحق به ولم يجزئ لأحد أخذه منه ، لأنه ساواه في الضرورة وانفرد بالملك فأشبه الضرورة ، وإن أخذه منه أحد فمات لزمه ضمانه ، لأنه قتله بغير حق ، وإن لم يكن صاحبه مضطراً إليه ، لزمه بذله للمضطر لأنه يتعلق به إحياء نفس آدمي معصوم ، فلزمه بذله كما يلزمه بذل منافعه في إنجائه من الغرق والحريق ، فإن لم يفعل فللمضطر أخذه منه لأنه مستحق له دون مالكه ، فجاز له أخذه كغير ماله ، فإن احتيج في ذلك إلى قتال فله المقاتلة عليه فإن قتل المضطر فهو شهيد ، وعلى قاتله ضمانة ، وإن آل أخذه إلى قتل صاحبه فهو هدر ، لأنه ظالم بقتاله فأشبه الصائل إلا أن يمكنه أخذه بشراء أو استرضاء.."(21) .

وفي منار السبيل : "ومن اضطر إلى نفع مال الغير مع بقاء عينه كثياب لدفع برد ، ودلو ، وحبل لاستقاء ماء ، وجب على ربه بذله مجاناً بلا عوض ، لأنه تعالى ذم على منعه بقوله ((وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ)) ، فإن احتاج ربه إليه فهو أحق بالملك من غيره لتميزه بالملك"(22) .

في كتاب الديات : "وإن اضطر إلى طعام وشراب لغيره فطلبه منهم فمنعه إياه مع غناه عنه في تلك الحالة ، فمات بذلك ، ضمنه المطلوب منه لما روي عن عمر أنه قضى بذلك ، ولأنه اضطر إليه فصار أحق به ممن هو في يده وله أخذه قهراً ، فإذا منعه إياه تسبب إلى إهلاكه بمنعه ما يستحقه ، فلزمه ضمانه ، كما لو أخذ طعامه وشرابه فهلك بذلك"(23) .

وفي قواعد ابن رجب الحنبلي : "القاعدة التاسعة والتسعون : ما يدعو إلى الانتفاع به من الأعيان ولا ضرر في بذله لتيسيره وكثرة وجوده أو المنافع المحتاج إليها يجب بذله مجاناً بغير عوض في الأظهر.. ثم نقل عن شيخ الإسلام أن المضطر إلى الطعام إن كان فقيراً وجب بذله له مجاناً لأن إطعامه فرض كفاية لا يجوز أخذ العوض عنه بخلاف الغني.."(24) .

قول ابن حزم :

كما مر فإن ابن حزم نافح عن هذا الأمر بقوة ، وحشد له جملة من الأدلة ، وقد قال -رحمه الله تعالى-: "وفرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بذلك ، ولا في سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف وأعين المارة" .

قول ابن تيمية :

قال -رحمه الله- : "فأما إذا قدر أن قوم اضطروا إلى سكنى في بيت إنسان إذا لم يجدوا مكاناً يأوون إليه ، إلا ذلك البيت فعليه أن يسكنهم ، وكذلك لو احتاجوا إلى أن يعيرهم ثياباً يستدفئون بها من البرد ، أو إلى الآت يطبخون بها، أو يبنون أو يسقون يبذل هذا مجاناً ، وإذا احتاجوا إلى أن يعيرهم دلواً يستقون به أو قدراً يطبخون فيها ، أو فأسا يحفرون به ، فهل عليه بذله بأجرة المثل لا بزيادة ؟ فيه قولان للعلماء في مذهب أحمد وغيره ، والصحيح وجوب بذل ذلك مجاناً إذا كان صاحبها مستغنياً عن تلك المنفعة وعوضها ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ((فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * ويَمْنَعُونَ المَاعُونَ)) وفي السنن عن ابن مسعود قال كنا نعد الماعون عارية الدلو والقدر والفأس"(25) .

تنبيهان :

الأول : قد يتسائل البعض فيقول هذه شيوعية أو اشتراكية ؟

والجواب شتان ما بين الثرى والثريا ، وكما قال الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصى

إن النظام المالي للشيوعية يقوم على أسس منها :

1- إلغاء الملكية الفردية إلغاء باتاً وإحلال الملكية الجماعية بدلاً منها .

2- المساواة في الأجور .

3- تطبيق مبدأ من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته .

وهذه أسس خيالية تصادم الفطرة ولذلك فشلت فشلاً ذريعاً كما هو الـواقــع. أمـــا النظام الإسلامي، فيما سبق الحديث عنه، فيرمى إلى أن لا يوجد في المجتمع الإسلامي مضطرون لا يجدون حاجاتهم الأساسية ، مع تمكن البعض من سد حاجاتهم وإزالة الضرورة عنهم، ولا يرى الإسلام مانعاً من أن توجد فوارق بين أبناء المجتمع وهذا ما نص عليه الـقـرآن في مواطن عدة(26) ، قال تعالى : ((ورَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَـعْـضـاً سُخْرِياً)) .

الثاني : لا يقولن قائل أن وجوب سد حاجة الفقراء ، مقصورة على الأغنياء ، ذوي المال الـوفــيــر ، بل إن وجوب ذلك منوط بكل من وجد فضلاً من المال

كما مر آنفاً في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وفي الآثار المروية عن عمر .

الخاتمة :

وبعد هذه الأدلة الناصعة ، وكلام العلماء الجلي : أقول : أيها المسلمون ويا أيها الدعاة ، ألـسـنـا نــرى بـــأم أعيننا ونسمع بآذاننا عن إخوان لنا في الدين يموتون كل يوم جوعاً ، ومرضاً ، وخوفاً وتشريداً ، أفلا نقول لأنفسنا كما قال عمر بن الخطاب : "هل نرى هؤلاء يموتون ، ونعيش نحن ، بل ونتنعم ، ونتلذذ بكل ما لذ وطاب ، ولا يفوتنا من الكماليات شيء؟" ، إننا بحق في حاجة إلى الأخوة الإسلامية كما جاء بها الإسلام .

الهوامش :

1- حديث أبي ســعــيــد الخدري -رضي الله عنه- حيث قال : "بينما نحن في سفر مع النبي - صلى الله عليه وسلـــم - إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله :»من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له" فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل« رواه مسلم.

2- ولهذا لم أعرض وجهة نظر الفريق القائل بأن في المال حقاً سوى الزكاة .

3- أحكام القرآن للجصاص 3/131 .

4- أحكام القرآن لابن العربي 1/95-6 ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 2/242.

5- نظرية الضرورة لجميل مبارك ص 342 .

6- المحلى 6/158 .

7- الحديث رواه البخاري 6/587 رقم 3581 .

8- ص 6/600 .

9- نظرية الضرورة 342 .

10 - الطبقات 3/ 310 .

11- 3/313 .

12- الطبقات 3/ 316 .

13- المحلى 6/ 158 .

14- رواه ابن حزم 6/158

15- أحكام القرآن للجصاص 3/ 584 .

16- أحكام القرآن 1/59-60 .

17- تفسير القرطبي 2/ 242 .

18- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير 2/116 بتصرف يسير .

4-19/ 308-309 .
20- نهاية المحتاج 7/ 149 .
21- المغني مع الشرح 11/80 .
22- انظر منار السبيل كتاب الأطعمة 2/419 .
23- المغني مع الشرح 8/580 ، وانظر منار السبيل كتاب الديات 2/335 .
24- قواعد ابن رجب 228 .
25- مجموع الفتاوى 28/98 .
26- للتوسع انظر فصل الشيوعية من كتاب مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

من هدي السلف الصالح
اتباع المحكم.. وترك المتشابه

حسن حسن إبراهيم

المحاجة وإقامة الأدلة لها طرق ومسارات تصل بصاحبها إلى الحق ، وتكشف وجه المسألة من أقرب طريق ، فإذا تجاوز الحـوار بين طرفين هذا الحد ، خرج إلى حكايات وتفريعات لا تنضبط بقواعد محكمة ، ولا يحدها تسلسل منطقي من الاستدلال.. فتدرر المحاورات في حلقات مفرغة وتتفرع إلى منزلقات ومــتــاهـــات فيتمزق الموضوع.. والسبب هو ترك الأمور المحكمة إلى متشابهات الأدلة .

إذا تبين لك ذلك فلا تعجب إذا رأيت كل مبتدع يستشهد على بدعته بدليل شرعي ينزله على ما وافق هواه ، فإن هذا الأمر قد ثبت في الحكمة الأزلية فقد قال تعالى : ((يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً)) [البقرة 26] . لـكـن إنـمـــا يـنـسـاق له من الأدلة المتشابه منها لا الواضح ، والقليل منها لا الكثير ، وهو أدل الدليل على اتـبــاع الـهـــوى ، فــإن المعظم والجمهور من الأدلة إذا دل على أمر بظاهره فهو الحق ، فإن جاء ما ظاهره الخلاف فهو النادر القليل ، فكان من الصواب رد القليل إلى الكثير والمتشابه إلى الواضح..

ولكن المبتدع يأخذ الأدلة تبعاً لهواه ومن شأن الأدلة أنها جارية على كلام العرب ، ومن شــــأن كلام العرب الاكتفاء فيه بالظواهر ، وقلما تجد من كلامهم نصاً لا يحتمل ، وكل ظاهر يمكن أن يصرف عن مقتضاه ويُتأول على غير ما قصد فيه ، فإذا انضم إلى ذلك الجهل بـمـقـاصـــد الشريعة وأصولها كان الأمر أشد وأقرب إلى التحريف والخروج عن مقاصد الشرع ، فــــإذا غلب الهوى أمكن انقياد ألفاظ الأدلة إلى ما أريد منها.

أما السلف الصالح فهم يتبعون الأدلة منقادين لها باسطين لها يد الافتقار ، فهم إذ سلكوا على الجادة يجدون جمهور الأدلة ومعظم الكتاب واضحاً في

الطلب الذي بحثوا عنه فيتبعون هذا المحكم . وأما ما شذ عن ذلك من متشابه فإما أن يردوه إلى المحكم ، وإما أن يكلوه إلى عالمه ، ولا يتكلفوا الـبـحــث عن تأويله . ففيصل القضية بين أهل البدعة وأهل الـسـنـة هـــو قوله تعالى ((فَـــأَمَّا الَذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ومَـــا يَـعْــلَـمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)) [آل عمران 7] . ولما قرأ - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية قال : »فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىّ الله فاحذروهم« رواه مسلم (1) .

فما هو الحكم والمتشابه ؟

* المحكم : هو الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره ، فهو قائم بنفسه ، لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره نحو : ((ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)) ، ((وإنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)) ، [طه 82] ، ((إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)) [النساء 48] ، ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً..)) [الأنعام 151](2) . بل إن معظم القرآن آيات محكمات لقوله تعالى : ((هُوَ الَذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ)) وأمّ الشيء معظمه وعامته ولذلك كان القرآن بيان للناس وكان أيضاً حجة الله عليهم.

* المتشابه : هو ما أشكل معناه ولم يُبين مغزاه(3) .

وهو قسمان :

أ - المتشابه الحقيقي : وهو ما لم يجعل لنا سبيل إلى فهم معناه . ولا شك أنه قليل لقوله تعالى: ((..مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)) فالمحكم هو الــغـــالـــــب والمتشابه هو القليل النادر(4) . ومثاله :

1- الأمور الإلهية الموهمة للتشبيه .

2- الحروف المقطعة في أوائل السور .

3- ماهية الروح ووقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى وما إلى ذلك (5) .

ولا يتعلق بذلك تكليف سوى مجرد الايمان به لقوله تعالى : ((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)) . والتشابه في هذا القسم راجع إلى الأدلة .

ب - الـمـتـشـابــه الإضافي : هو ما بينته الشريعة ولكنه تشابه على الناظر فيها لتقصيه في الاجتهاد أو لزيغه عن طريق البيان اتباعاً للهوى . فلا ينسب الاشتباه هنا إلى الأدلة فيطلق عليهم أنهم متبعون للمتشابه (4) . ومثاله :

1- مـــا يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلى دليل خارجي وإن كان في نفسه ظاهر الـمـعـنـى لبادي الرأي كاستشهاد الخوارج على إبطال التحكيم بقوله :

((إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ)) فإن ظاهر الآية صحيح على الجملة ، وأما على التفصيل فمحتاج إلى البيان ، وهو ما ذكره ابن عباس من أن الحكم لله تارة من غير تحكيم ، وتارة بتحكيم ، لأنه إذا أمرنا بالتحكيم فالحكم به حكم الله ، فتأملوا وجه اتباع المتشابهات ، وكيف يؤدي إلى الضلال والخروج عن الجماعة ولذلك قال : "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"(6) .
2- الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها وبالعمومات من غير تأمل - هل لها مخصصات أم لا ؟ وكذلك الـعـكـــس بأن يكون النص مقيداً فيطلق أو خاصاً فيُعم بالرأي من غير دليل سواه ، فإن هذا المسلك رمـي في عماية واتباع للهوى في الدليل ، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد فإذا قيد صار واضحاً(7) فإذا قيل مثلاً : "إن البيع موجب لنقل الملكية" فلا يكون ذلك لأي بيع فيه غرر أو ربا ، وإذا قيل : "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" فلا يـكـــون ذلك لأي قول فإن هذا خلاف المعلوم من دين الإسلام فالمنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها من الدرك الأسفل من النار ، ولكن المقصود هو القول التام(8) الذي يستلزم أثره من تركٍ للشرك والتزام بشرائع الإسلام ، وكذلك أيضاً قوله تعالى : ((إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)) يُرجع فيه إلى قوله تعالى : ((إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)) وقوله : ((وإنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)) وينضم إلى ما سبق الأخذ بالمنسوخ من النصوص دون ناسخه ، وبالمجمل دون مبينه ، وبالظاهر المتشابه دون مؤوله ، فكل هذا من اتباع المتشابهات .
3- الأخذ بقضايا الأعيان وحكايات الأحوال التي قد تخالف بظاهرها أصولاً مطردة مقررة واضحة في الشريعة . فـهـذا معدود من المتشابهات التى يتُقى اتباعها بل يجب ردها إلى هذه الأصول المحكمة وتـنـزيـلـها على مقتضاها .
ومثال ذلك أن مرجئة العصر الحديث عندما وقفوا على قوله - صلى الله عليه وسلم - لعمه - أبي طالب - إذ حضرته الوفاة : "أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله" [البخاري] ، قالوا: الإسلام كلمة والنجاة من الخلود من النار بكلمة لا شيء بعدها ومن أثبت شيئاً معها فهو من الخوارج . ومعلوم من الملة الإسلامية أن من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار وأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار مع قولهم لا إله إلا الله ، وأن القرآن قد دحض هذه الشبهة : ((أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) .
وختاماً نحذر من هؤلاء الذين يُعتقد فيهم أو يعتقدوا هم في أنفسهم أنهم من أهل العلم ، ثم تراهم يهدمون كليات الشريعة ببعض جزئياتها - اتباعاً للمتشابه ، وتركاً للمحكم ، وانتصاراً لرأيهم - فإن الحامل لهم على ذلك هو بعض

الأهواء الكامنة في نفوسهم ، مع الجهل بمقاصد الشريعة ، واستعجال نتيجة طلب العلم.
وعلى من طلب خلاص نفسه أن يثبت حتى يتضح له الطريق ، فإن العاقل لا يخاطر بنفسه في اقتحام المهالك ، ومن تساهل رمته أيدي الهوى في معاطب لا مخلص له منها إلا أن يشاء الله(9) .

الهوامش :

1- الاعتصام 1/134-135 بتصرف .
2- تفسير القرطبي 2/125 .
3- الاعتصام 2/233
4- الموافقات 3/91 .
5- تفسير القرطبي 2/1253 .
6- الاعتصام 2/234 .
7- الاعتصام 1/245 .
8- مدراج السالكين .
9- كلمات للإمام الشاطبي .

المصلحة وفقه التلفيق

أحمد بن صالح السيف

إن من نزعات الفطرة البـشـريـة أن الـذي أوجـدها هو صاحب الأمر والنهي فيها ((أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ)) [الأعراف:54] . الإله المستحق للعبادة و التحاكم إليه ((إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ)) [يوسف:40]. فإذا ما انـسـلـخـت هــذه الـسـمـة الفـطرية وحُكمّ الطاغوت كما تئن منه بلادنا الإسلامية اليوم كان تمرداً على حق الألوهية في الـعـبـادة ، حـيـث اسـتـجـابت تلك البلاد للدعاوى الملفقة لإقصاء الشريعة رغبة في إحلال القوانـيـن البشرية محلها ميممة نحو الغرب الكافر "لاقتباس ما وضع فيه من قواعد قانونية تعجيلاً بالإصلاح الـمـنـشـود ونـكـولاً عــن حـمـل أعباء التقنين الشرعي فانتشرت وراجت حركة التشريع(*) على حساب الشريعة الإسلامية حتى تخلفت بهذه الشريعة المرتبة بين مصادر القانون الرسمية فيها وضاق نطاق إلزامها فـي الـعـمل ضيقاً كبيراً ، كاد يقتصر على مسائل الأحوال الشخصية أو حتى على بعضها الوثيق الصلـــة بالشخص كمسائل الزواج والطلاق والنسب (1) .
إذ طـبـيـعـة شعـوبها المغلوب على أمرها تحتم ذلك ولا يضيرهم هذا الجانب إذا طبق فيه الشرع لكونه لا يؤثر على مبتغاهم لعلمنة التشريع الإسلامي وتغييبه عن الواقع ((أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وتَكْفُـرُونَ بِبَـعْــضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن

يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إلَى أَشَدِّ العَذَابِ ومَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) [البقرة 85] .
من مسالكهم النفاقية ودسائسهم أنهم إذا ما وافق باطلهم وقانونهم شرع الله أذاعوا به ورفعوا عقائرهم بأنهم مصلحون وفق الشريعة الاسلامية "فإذا جاء الحق معارضاً في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بأرجلهم ، فإن عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل ، فإن عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق أخرى وهم مستعدون لدفعه بحسب الإمكان ، فإذا لم يجدوا منه بداً أعطوه السكة والخطبة وعزلوه عن التصرف والحكم والتنفيذ وإن جاء الحق ناصراً لهم وكان لهم صالوا به وجالوا وأتوا إليه مذعنين لا لأنه حق بل لموافقته أغراضهم واهوائهم ((وإذَا دُعُوا إلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وإن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ورَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [النور:48-50](2) ، وبهذا المسلك أقصيت الشريعة الإسلامية بأردية مستعارة مبيِّين أفكاراً ودسائس علمانية ويدرؤن بذلك الشبهة عن انفسهم بدعوى الإصلاح والتقدمية ومن جهة أخرى يصمون بخبث ودهاء شرع الله بالرجعية ، وهذا طعن بحق الله ((وَإذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)) [البقرة 11-2] .
إذ يغالون في اعتبار المصلحة ويقدمونها على النصوص الشرعية القطعية ، وهذا شأن كل مغرض يسعى لمحاربة الله وتسمية الإفساد إصلاحاً إذ "يؤدي ذلك إلى تعيل النصوص التشريعية بنظر اجتهادي عقلي محض ، ولو جاز أن تتقبل أمة من الأمم هذا الرأي على إطلاقه في تشريعها وتسمح به لرجال الحقوق أو القضاء في اجتهادهم لسادت الفوضى في العمل بالشريعة والقانون فمن تراءت له مصلحة النص الشرعي عمل به ومن تصور أن المصلحة بخلافه نبذه وفي ذلك منتهى الفوضى"(3) كما أن واقعنا اليوم يعيش في هذه الحقيقة ، فالمصلحة المعتبرة هي ما جاءت وفق ضوابط شرعية مبسوطة في كتب الفقهاء والأصوليين "فالمصالح المعتبرة شرعاً أو المفاسد المستدفعة إنما تعتبر حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية، وذلك أن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادا لله"(4) يحكمونه في كل شؤونهم الحياتية ، وإذا ما دعوا إلى المحاكمة العقلية الشرعية جحدوا الحق واستيقنته أنفسهم ظلماً وعلواً وأظهروا الإحسان والتوفيق ((إنْ أَرَدْنَا إلاَّ إحْسَاناً وتَوْفِيقاً)) [النساء 62] . وهذا خداع منهم أنهم ما أرادوا بهذا العمل إلا الإحسان في المعاملة والتوفيق بينهم وبين خصومهم فهم "يحلفون كاذبين أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت - وقد يكون هذا

عرف الجاهلية - إلا رغبة في الإحسان والتوفيق وهي دائماً دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته ، إنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب(**) التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة ، إنها حجة الذين يزعمون الإيمان - وهم غير مؤمنين - وحجة المنافقين الملتوين هي هي دائماً وفي كل حين"(5) وقد يستغلون هذا التلفيق المسيس للقضايا والمسائل الشرعية الموافقة لأباطيلهم وتضليل الشعوب بإقامتها وإقرارها برداء المصلحة الدنيوية والأخروية إذ المعتبر هو جهة المصلحة الشرعية التي هي عماد الدين والدنيا لا ما تمليه أهواءهم ونزعاتهم العدوانية وقد كفانا الله مؤونة فضحهم في كتابه العزيز "والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين والدنيا وأتم نعمه فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا قد حدثنا به النبي - صلى الله عليه وسلم - وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد أمرين لازم له إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة"(6) .

الهوامش :

*- يعني مصطلح التشريع في القانون الوضعي هو قيام سلطة عامة مختصة في الدولة بالتعبير عن القاعدة القانونية في صورة مكتوبة وإعطائها قوة الإلزام في العمل ، انظر في ذلك المدخل الى القانون ، د. حسين كيره منشأة المعارف ، مصر، ص 228 .

1- المصدر السابق ، ص 211 (بتصرف) .

2 - مدارج السالكين ، ابن القيم ، 1 /53، دار المعرفة .

3- الاستصلاح والمصالح المرسلة ، مصطفى أحمد الزرقاء ، دار القلم ، دمشق ص 77 .

4- الموافقات فى أصول الشريعة ، لأبي اسحق الشاطبي ،2/38 .

**- كما يزعمونه تهويلاً من الاحتكام إلى شرع الله .

5- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 2/694 ، دار الشروق .

6- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ، جمع ابن قاسم ، 11/344-345 .

البيان الأدبي

في رحاب هجوم السلام *

محمود مفلح

قليلةٌ هي القصائد الأصيلة المقنعة في هــذا الـزمن زمن الغثاء والهباء . ولا يكاد الواحد منا وهو يقرأ مئات القصائد يعثر على واحدة تستوقفه وتغريه .
ومن هذه القصائد النادرة - ولا أقول القليلة - التي وقفت عندها طويلاً قـصـيـدة أخي الدكتور الشاعر المتألق عبد الرحمن بارود المنشورة في العدد (49) من مجلتنا "البيان" بعنوان "هجوم السلام".
والشاعر الدكتور عبد الرحمن بارود مقلّ في نـشــره ومـتـشــدد في هذا النشر ، والذي يقرأ مقدمة ديوانه- غريب الديار - الصادر عن دار الفرقان بـعـمــان يعـجـب لهذا "البخل في النشر" وهذا الحرص على البقاء في الظل... ولا أبالغ إن قلت - وأنا مـطـمـئن - إنه شاعر المرحلة ، بل يقف بجدارة على رأس قائمة شعراء العصر الحديث ، وإن قصيدته المذكورة آنفاً والتي مطلعها :

يا حمام السـلام عد يا حـمام لا يفلُّ الحســـــام إلا الحســـــام

تؤكد ما أقول . فالقارئ العادي أو المتعجل قد لا يرى فيها شيئاً غير عادي ، ولكن القارئ الحصيف المتمرس ذا الذوق الناضج يدرك أن هذه القصيدة جمعت بين البساطة والعمق ، بين الحاضر والتاريخ ، بين الأصالة والمعاصرة ، وطرحت الموضوع طرحاً ذكياً مقتدراً مستفيدة من كل عناصر الإبداع الشعري .
وقد زادها زخماً تلك الخيوط التاريخية التي دخلت في نسيجها والتحمت في بيئتها التحاماً عضوياً لا أثر فيه للتصنع أو الادعاء .

والخواجـا شـيـلـوك في الذبح ماضٍ مـنـذ أن غلّنا "اللنبي" الهمام
أوَ غـيـرَ السـاطـور يـبـصر شـيـئاً تــاجــر البـنـدقـيـة اللــحَّام؟

وأبرز عنصر من عناصر هذا النص الشعري عاطفته المتأججة التي تصل إلى حد الفوران أو حد الشتيمة أحياناً .

ثَكِلتْ أمُّكمْ.. أليسَ لديكمْ غيرُ : (عاش السلام) (يحيا السلامُ) ؟؟

ثم توبيخ وتقريع :

أيــنَ مـلــيـارُ (لا)؟ ومـليارُ (كَلاّ)؟ أين تـلـكَ المـحـرَّمـاتُ الجسامُ ؟
مـا لتـلكَ "اللاءاتِ" تهويْ تباعاً ؟ وَ هَــلْ صـار ربُّـــــنا (العمُّ سامُ)

ولا يخفى ما لإشارات التعجب والاستفهام من دور في تثوير النص وشحنه بطاقة فنية عالية . كما لا يخف ما للتضاد من دور في تلوين النص وخروجه عن المألوف ،

عادتِ النارُ في البراكِينِ ثلجاً وتخلى عن الرُعودِ الغَمامُ
قد قَلبتُمْ كل الموازينِ قـلباً وغدا أوَّل الحلالِ الحرامُ

وتبلغ القصيدة ذروة تأثيرها في المقطع الأخير الذي يقول :

وَقَعَ السقْفُ يا صناديدَ قومي أوَ صاحونَ أنتمو أمْ نيامُ ؟
أين فتحٌ؟؟ وأين : (إنَّا فَتَحنا)؟ شدَّ ما غَيَّرْتكُمُ الأيامُ!!

ويبقى جواب هذا السؤال الملح الذي ترفعه الأمة كلها عند تجار الشعارات ودهاقنة السياسة والمنظّرين.
ولكن القصيدة لا تمهلنا كثيراً ، إذ تضع الأمور في نصابها حين تقول :
سُورةُ الفتح أُنزِلتْ في رعيلٍ اَلـعـمـالـيـقُ عـنـدَهـم أَقْـزامُ
نَفَروا خَلْفَ قائد من قُريشٍ عَـقِـمـتْ عن نظيرِهِ الأرحامُ
إي وربي يا أبا حذيفة "العماليق عندهم أقزام" والأقزام عند بني قومنا عماليق ، إننا بحاجة إلى مثل هذا الشعر الأصيل الموهوب المتمكن ، لنزيل ركاماً ورثناه في عهود الضعف والهزيمة .
وإننا نطالب أخانا الدكتور عبد الرحمن بمزيد من الإبداع ومزيد من النشر ، حتى تعود إلى الشعر عافيته ، وإلى ميدان الشعر فرسانه الحقيقيون .
* قصيدة للدكتور الشاعر عبد الرحمن بارود نشرت في البيان (49) .

مظاهر الانحراف في شعر المقاومة الفلسطينية

أحمد بن راشد بن سعيّد

تحفل الصحف العربية بإنتاج مجـمـوعــة مــن الشعراء الفلسطينيين الذين يقدمون للقارئ العربي على أنهم رواد شعر المقاومة الفلسطينية كما تنتشر دواوينهم في المكتبات ، ويدعون لتقديم الأمسيات الشعرية ، وتسبغ عليهم ألـفــاظ (المـنـاضلين) و(الثوريين) وغيرها... ولعل أبرز هؤلاء محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ومعين بسيسو(1) .
ومأخذنا على هؤلاء الشعراء إجمالاً هو انفصالهم عن هــوية الـمـقـاومة ، وتنكرهم لعقيدة الشعب الفلسطيني ، والتماسهم حل القضية في مناهج مستوردة غريبة ، وإنكارهم أن يكون الحل موجوداً في إسلام الأمة وتاريخها.. ونسوق ملاحظاتنا على شكل نقاط فيما يلي :

الجرأة على الذات الإلهية :

وهذه ظاهرة عامة تنتظم شعر المجموعة المذكورة ، وباعثها كما تدل القصائد التضجر من الواقع والضيق بما آلت إليه القضية . يقول محمود درويش في قصيدته (الموت في الغابة):
نامـي فعـين الله نـائـمـة عنا وأسراب الشـحـاريـر
ويقول في مطولته (مديح الظل العالي):
"يا خالقي في هذه الساعات من عدم تجلّ.. لعلى لي رباً لأعبده لعلَّ" .
وفي قصيدته (التعاويذ المضادة للطائرات) يقول سميح القاسم :
"كنت طفلاً آنذاك.. علموني أن مجرى الأرض في كف السماء.. علموني أنه سبحانه يحيي ويـفـنـي مـــا يشاء.. دون أن أسأل من كانوا وماذا فعلوا

للتعساء.. علموني الدجل والرقص وإذلال النساء.. علموني السحر والإيمان بالأشباح والرقية والتعزيم والخوف إذا جاء المساء .. فـرس الخـضر كفيل بي وحسبي الفقهاء.. يا أبي المهزوم.. يا أمي الذليلة.. إنني أقذف للشيطان ما أورثتماني من تعاليم القـبـيـلـة.. إنني أرفـضـهـا تلك الطقوس الهمجية.. إنني أجـتـثـهـا من جــذرها تلك المراسيم الغبية.. إنني أبصق أحقادي وعاري في وجوه الأولياء الصالحين.. إنني أركــل قـــاذورات ذلـي وانـكـساري للتكايا والدراويش وأقزام الكراسي النابحين.." .
ويستمر الشاعر في استهزائه وغيه فيقول:"صوبوا كل التعاويذ بوجه الطائرات.. ألبوا الله عليها.. واقذفوها بالوصايا العشر.. والجفر.. وآيات السماء البينات.." .
وفـي قـصـيـدة (أبـــطـال الراية) يقول سميح:"والله نحن نشاؤه بغرورنا.. شيئاً له قسماتنا الشوهاء ترسمه أنـانـيـاتـنا".. إلى آخر ما يقول من عبارات تنضح بالجهل بحقيقة الإسلام وتنبئ عن مرض صاحبها وفساد قلبه..
ومن قصيدة لمعين بسيسو بعنوان (إلى سائحة) يقول فيها :
"وآخر ديك قد صاح ذبـحـنـــاه.. لم يبق سوى الله.. يعدو كغزال أخضر تتبعه كل كلاب الصيد.. ويتبعه الكذب على فرس شهباء.. سنطارده.. سنصيد له الله"!! ويقول في قصيدة (عيون مليكة المراكشية): "والله كـان يـلـعـب الشـطـرنج كل ليلة مع الملائكة.."، ويقول في قـصـيدة (جندياً كان الله وراء متاريس دمشق): "كان الله يحمل أكياس الرمل على ظهره.. يرفع بـيـديـــه الأحجار.. ويعجن بيديه الاسمنت.. ويقيم متاريس دمشق.. كان الله على شاطئ حيفا يصطاد السمك لأطفال فلسطين.. "، والمتتبع لقصائد هذه المجموعة يجد كماً من هذه الأشعار الكفرية التي ساهمت بلا ريب في تضييع القضية وتأخير مسيرة العودة إلى فلسطين (2) .

التنكر للتاريخ الإسلامي ورموزه :

وبدلاً من أن يحـاول هــؤلاء الـشـعـراء أن يـبـحـثوا عن حل لمأساة فلسطين في سفر التاريخ الإسلامي ، نراهم يزدرون هذا التاريخ ويقللون من أهمية رموزه وأبطاله.. وهذا هو محمود درويش يتمنى كتابة تاريخه وحاضره (بالفأس والمنجل) فيقول في قصيدة (مغني الدم):
"ليتني أدفن كل الكلمات الميتة.. ليت لي قوة صمت المقبرة.. يا يداً تعزف يا للعار خمسين وتر.. ليتني أكتب بالمنجل تاريخي.. وبالفأس حياتي..".
ويقول سميح القاسم متسائلاً في قصيدته حتى الموت:"وماضيك؟ كتب جمة والتمر والشمس .. وغار الوحي والتكبير والدعوة.. وسيف الله والرومان والفرس.. وباسم الله والــثــورة..

وما الحاضر ؟ ميراث الدم المهدور في الماضي.. ووشم من قلاع المجد عميقاً تحت أنقاضي.. وطاقية إخفاء.. وجن في بساط الريح.. وآلاف العيون الزرق.. والعجمة في لفظي.. وكنز من شروح الفقه والأنساب والوعظ..".
والغمز والطعن والتهكم بالتاريخ الإسلامي والحاضر المتصل به الآخذ منه واضح في هذه العبارات ، ويزيد ذلك وضوحاً قول سميح في قصيدة (الميلاد): "أبي.. لا كتبنا الملقاة تحت نـعــال هــولاكــو.. ولا فردوسنا المردود فردوساً إلى أهله.. ولا خيل الصليبيين.. ولا ذكرى صلاح الدين.. ولا جندينا المجهول في حطين.. تشد خطاي للأنقاض في المنفى..) .
وننظر لنرى ماذا يشد خطى سميح للمنفى فإذا هو يقول :
"فمن حبي لأطفالي أشيد مصانعاً كبرى.. وأرتق معطفي البالي وأبني مسكناً حلوا.. وأخلق جنة خضرا) .
إن بطولات المسلمين وملاحم الجهاد الفذ التي سطروها والعقيدة الصلبة التي ربتهم وعلّت شأنهم.. كل ذلك لا يحفز للتحرير ، ولا يشد الخطى إلى المنفى.. فما هو البديل إذن ؟ وما الذي سيغذ الخطى ويحفز الهمم ويدفع مواكب التحرير إلى فلسطين ؟ إنه في رأي سميح العمل والفلاحة ، أي التوجه إلى المستقبل وإهمال الماضي بكل شموخه وجلاله ، وهي الصورة السمجة الشوهاء التي رسمتها الاشتراكية البائدة .

الافتتان برموز المذاهب الهدامة :

ولأن أصحاب الشعر المقاوم لا يفخرون برموز وأبطال الجهاد الإسلامي ولا يستلهمون من قصص كفاحهم شعاعاً يضيء طريقهم ، فهم يتغنون بأعمال جيفارا ولينين ، ويهتفون لآراء سارتر وغيره من دعاة المذاهب الوثنية..
وهذا سميح القاسم الذي يـقــول أن ذكـرى صــلاح الـديــن لا تثير اعتزازه ، وأن جهاده الصليبيين لا يحرك في نفسه شيئاً ، يقول في قصيدة يـخـاطــب فـيها الزعيم الكوبي فيدل كاسترو : "قدماً.. قدماً في هذا الدرب.. يا حـاطـم أغــلال الشعب.. قدم يا أول شعلة.. في عتمة أمريكا المحتلة.. يا غوث الجزر المنهوبة.. وعزاء الأمة المنكوبة..", ويوجه قصـيـدة إلـى جــان بـول سـارتر صاحب مذهب الوجودية فيقول : "أطلقها ناراً في وجه الأعداء.. أطلقها كلمتك الـحـمــراء.. ما دام على الدنيا باستيل.. ما دامت قضبان وسياط ودماء.. يا أنبل قنديل.. في عتمة باريس العمياء.." .
ويقف توفيق زياد أمام ضريح لينين خاشعاً ، فينعقد لسانه وتأخذه رهبة الموقف (!!) لكنه بعد ذلك يصور مشاعره وهو ماثل أمام قبر الطاغوت في هذه الكلمات :
"كأنني ولدت من جديد.. كل الشموس في يدي وأجمل الورود.. أمـامــه وقـفـت خـافـض الجبين.. ضريحك الذي يعيش في القلوب يا لينين.. أحسست أنني أنا المعذب الـشـقــي.. المعدم الذي نصيبه من الحياة كوخ طين.. أملك

كل شيء.. أقوى من الزمان والقضاء.. وأنني أقدر أن أقتحم السماء.. أردت أن أقول كلمتين.. واحترت ماذا يقدر الشقي أن يقول ؟! وجدت أن الصمت يا معلم الأجيال.. أصدق من كل الذي يمكن أن يقال" .

ونـقـرأ قـصـيدة لمعين بسيسو بعنوان (قصيدة فلسطينية إلى لينين) يقول فيها : "كان لينين فكان الحزب.. يا فرس البحر على الصخرة.. تلد ملائكة الشعب.. موسكو في القلب.."؟!

وفي دواوين شعراء المقاومة هؤلاء نطالع كثيراً من هذه القصائد التي تتغنى بلينين وكاسترو وسارتر وغيرهم من الأصنام التي هوت أو تتهاوى إلى مزبلة التاريخ .

تبني الاتجاه الماركسي كطريق لإنهاء المأساة :

والقارئ لشعر المقاومة يلمس تأثراً واضحاً بالفكر الماركسي (ومن أسباب ذلك الاعتقاد بــأن الاتحاد السوفييتي البائد كان النصير لحركات التحرر العربية!!) ومن مظاهر هذا التأثــر التهجم على الدين والتاريخ وإطراء الاشتراكية، والتنديد بهمجية الغرب الرأسمالي وجوره على الطبقة العاملة..

وهذا سميح القاسم يشرح في قصيدته (عــزيــزي إيـفـان) كيف قاسى العذاب وأصابه اليتم والفقر والتشريد، فلم يلق مساعدة من أحد، ولم يجد في (دور الوعظ والإرشاد) من يحنو عليه ، وإذا به يصحو يوماً على صوت (معلم جوال) أتــى مــن قــمـة الشرق وانتشله من مجتمع الذئاب إلى حياة ملؤها الهناء ورغد العيش.. هذا المعلم بالطــبـع هو رسول الاشتراكية.. يقول: "دعــوت الأولـيـاء الصالحين فردت الوديان.. إلهك كان يا هذا.. إلهك كان !! وقهقهت السفوح السود والـقـمـــم النحاسية.. إلهك كان.. يا طرح الأناشيد الحماسية.. وعاد إليّ في الصوت.. جبيني الأول الـعـالي.. وقلبي عاد مركبة فضائية.. تخط طريق أجيالي.. وعادت ملء أجفاني المسافات الربـيـعـيـة.. وغابات المداخن والصنوبر والقراصية.. أجل عادت مع الصوت.. رؤى نسلي الذي أقسمت أن يأتي.. ووجه الأرض مخلوق من البدء.. بصورة سفر تكوين.. يسمى الاشتراكية.."!!

وفي قصيدة (برلين تستعيد شعرها) يقول سميح :

"ربى الشيوعيون شعرك.. طـيـبـــوه ودللـوه.. ربوه بالفرح المقدس والمرارة والصمود.. لا كي يـجــز غــدائـــره.. مـتـحـضرون برابرة.. برلين.. لا لن ينسجوا من شعرك المبعوث أغطيه الجنود.. عين الشيوعيين ساهرة.." .

ويقول توفيق زياد في قصيدة (شيوعيون) :

قالــوا: شيـوعـيون. قلت : أجلهم ... حمـراً بـعزمهم الشعوب تحرر
قـالـــوا شـيـوعـيــون : قلت منية ... مـوقـوتــة لـلـظــالـمـيـــن تقدر
قـــالـوا : شيوعيون . قلت : أزاهـر ... بأريجهـــا هذي الدنا تتعطر..
يـــا سـائـلـي لا تـسـتـب أمـــورنا ... حـتــى يـظـلـلـنا اللواء الأحمر

وفي قصيدة بعنوان (المطر الأول) يقول محمود درويش :
"في رذاذ المطر الناعم كانت شفتاها.. وردة تنمو على جلدي.. وكانت مقلتاها.. أفقاً يمتد من أمسي إلى مستقبلي.. كانت الحلوة لي.. كانت الحلوة تعويضاً عن القبر الذي ضم الها.. وأنا جئت إليها من وميض المنجل.. والأهازيج التي تطلع من لحم أبي ناراً وآها" .
وقد مر بنا كيف أن درويـــش تمنى كتابة تاريخه وحاضره بالفأس والمنجل معلناً انهزامه وانــســلاخـــه مـن عقيدة أمته وماضيها . ويؤكد في قصيدة أخرى افتتانه بهذا المنجل لا السيف الذي اشتهر به الـعـرب والمسلمون فيقول : "نعم عرب ولا نخجل.. ونعرف كيف نمسك قبضة المنجل"!
ونطالع في شعر المقاومة كثيراً من الاستعارات والألفاظ التي تنبعث منها رائحة اليسار مثل (الرفاق) ، (العمال) ، (الثوار)، (الجياع)، (الكادحون) ، (الرجعية) ، (الأممية) وغيرها. ولأن الاشتراكية ذات طرح عالمي ، فإن شعراء المقاومة ربطوا كثيراً بين نضال الــشــعــب الفلسطيني و (نضال) شعوب المعسكر الاشتراكي (السابق) ، وقرروا أن هدفهم واحد وهــو القضاء على (الامبريالية) والاستغلال والتمييز العنصري.. وتتجلى هذه الفكرة عند سمــيح القاسم في قصيدته (لو) إذ يقول : "لو يصدق الكلام.. وتحمل الريح ولو سلام.. من ثائر في الشرق.. لثائرين يشتلون النور في الظلام.. لثائرين إخوة لا فرق.. في النيل.. في الكونغو.. وفي الفيتنام" .
ونلمس فكرة (العالمية) هذه في قصائد سميح القاسم الذي يخاطب فيها الشيوعي الإسرائيلي مائير فلنر والزعيم الكوبي فيدل كاسترو وثوار الفيتكونغ الفيتناميين.. كما نقرأ قـصـيـــدة لـتـوفـيـق زيـــاد يحيي فيها عمال (مصافي النفط وحقول السكر في كوبا ، وقصيدة أخرى يخاطب فيها ثـــوار أفريقيا بقوله : "يا أخوتي المتزنرين على البنادق والحراب.. في قلب أفريقية السوداء.. في خضر الشعاب.. إنا نراها ثورة التحرير تقرع كل باب.."(3) .

الغلو في تقديس الأرض :

وبسبب بعد هؤلاء الشعراء عن العقيدة الإسلامية ، وفقدانهم للتصور الإسلامي ، فهم (يتطرفون) في تقديس الأرض ، ويجعلونها غاية الكفاح ومنتهى القصد .
يقول توفيق زياد معبراً عن هذه النظرة المادية الضيقة : "آه يا رائحة الأهل ، ويا بيتاً من الطين ، ويا حفنة عـشـــب وتراب.. كم علينا اليوم من أجلكمو ، أن نجرع الموت وألوان العذاب" .
ويـقـول مـحـمــود درويــــش:"هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء.. فاعبديها نحن في أحشائها ملح وماء" . ويقول في قصيدة (أهديها غزالاً) :
"وفي ليل رمادي رأينا الكوكب الفضي.. ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيت.. وقالت وهي حين تقول تدفعني إلى الصمت : تعال غداً لنزرعه مكان الشوك في الأرض.. أبي من أجلها صلى وصام.. وجاب أرض الـهــنـد

والإغريق.. إلهاً راكعاً لغبار رجليها.. وجاع لأجلها في البيد.. أجيالاً يشد النوق.. وأقسم تحـت عـيـنـيـهــا يمين قناعة الخالق بالمخلوق.. فدائي الربيع أنا.. وعبد نعاس عينيها.. وصوفي الحصى والــرمـــــــل والحجر.. سأعبدهم لتلعب كالملاك.. وظل رجليها على الدنيا.. صلاة الأرض للمطر.." .

وهذه النظرة الأرضية الجاهلية تنتظم شعر المقاومة الذي نحن بـصـدده.. ولا نكاد نلحظ في هذا الشعر ذكراً للمسجد الأقصى وغيره من المقدسات الإســلامـية في فلسطين ، وهي التي تصل فلسطين بالسماء ، وتجعل قضيتها أكبر من مجرد (حصى ورمل وحجر وغبار) .

وختاماً لا بد أن نشير إلى أن الحديث عن دلائل الانحراف هذه يـقـصـد به إيضاح المسافة التي تفصل الأمة عن هؤلاء الشعراء ، وأنهم خلافاً لما تصوره الصحافة الـعـربـية لا يمثلون همَّ وضمير الشعب الفلسطيني . كما لا يعني هذا الحديث عدم وجود شعر فلسطيني مقاوم يستلهم معاني الإسلام وتعاليمه ، وللدكتور مأمون فريز جرار كـتـاب بعنوان (الاتــجــــاه الإســلامـــــي في الشعر الفلسطيني) يرصد إنتاج الشعراء الفلسطينيين الذين ربطوا فلسطين بإسلامه وتاريخها ، وتغنوا بفتوحات المسلمين وبطولاتهم ، وأكدوا أن الجهاد في سبيل الله هو طريق التحرير والكرامة.. ومن المناسب هنا إيراد هذه الأبيات للأستاذ يوسف العظم ، والتي تحكي حال ومقال المسلم الفلسطيني الملتزم بدينه ، المؤمن بموعود ربه ، المباهي بأصالته وتاريخه :

أهيـم براية اليرمــوك أهـوى أخت حطين
تفجـر طاقاتي لهباً غضوباً من بـراكــيــن
لأنـزع حقي المغضوب من أشــداق تـنـيــن
وأرفع راية الأقصى ورب البــيت يحميني
سلاحـي النور في قلبي ورشاشــي وسكيني
ولـكـن دون أوهـام لجـيـفـــارا ولـيـنــيـن
ففكر الشرق يتعسني، وفكر الغرب يشقيني
أرتـل آيـة الـكـرسـي أتـلـو ربـع يـاسـيـن
وفي صـدري كـــلام الله يسعدني ويشفيـني
كفرت بدعوة الإلحـاد من صـنـع الشياطين
وأوثان صنعناها من الأوحال والـطــيـــــن
وآمنا برب الـبـيــت والـزيـتـون والـتــيــن
ليشمخ شعبنا حراً عـزيــزاً في فـلـسـطـيــن

الهوامش :

1- بسيسو (شاعر نصراني) توفي قبل بضع سنوات ورثته الصحافة العربية . مجلة عربية (اليمامة) دبجت سبع صفحات في تأبينه .

2- الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان تقول في قصيدة لها بعنوان ، (مرثاة إلى نمر) :
"وأنت يا من قيل عنه إنه هناك.. حانٍ لطيف بالعباد.. أين أنت لا أراك.. دعني أراك.. كي أقول إنه هناك) .
ويقول راشد حسين في مطلع قصيدة له عن مصادرة اليهود لبعض أملاك العرب :
الله أصبح غائباً يا سيدي صادر إذن حتى بساط المسجد
3- تجدر الإشارة إلى أن سميح القاسم وتوفيق زياد درزيان ، وعضوان في الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) ، وهو حزب يعترف بشرعية إسرائيل ، غير أنه - عملاً بأطروحات الشيوعية - قام على أساس معارضة الصهيونية (كحركة رجعية تحكمها البورجوازية اليهودية)، فلو افترضنا أن الشيوعية بقيت ذات شأن ، وأن الحزب ما زال مؤمناً بطروحاتها وأنه وصل إلى الحكم ، فإن نضال سميح وتوفيق يتوقف عند هذا الحد.. فليس عند الشاعرين (الثوريين) ما يمنعهما من رفع السلاح في وجوه شعبهما ما دام ذلك يخدم مصالح الفلاحين والعمال.. اليهود!000

مصادر النصوص (عدا أبيات يوسف العظم):

- ديوان سميح القاسم (بيروت دار العودة ، 1973)
- ديوان محمود درويش (بيروت دار العودة ؛، 1977)
- محمود دوريش ، مديح الظل العالي (بيروت دار العودة ، 1984)
- معين بسيسو ، الأعمال الشعرية الكاملة (بيروت دار العودة ، 1979)
- ديوان توفيق زياد (بيروت دار العودة ، 1971)
- ديوان فدوى طوقان (بيروت دار العودة ، 1984)

شعر

صرخة من أحفاد صلاح الدين

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

أنا بينكم شعبٌ دمي مطولُ أُصغي وألسنةُ الرَّصاص تقولُ
أنا بينكم ، أصلى بنار قذائفٍ وتُصاغ قصّةُ حسرتي ، وتطولُ
أنا بينكم ، شعبٌ يُقسَّمُ جهرةً والشمس في كبد السماءِ تجولُ
شعبٌ يُغذَّى بالأسى أطفالُهُ ويُشرَّدون وللنساءِ عَويلُ

أنــا بـيـنـكــم يــا مـسـلـمـون سـعــادتي نُــقـِضـَتْ ، وحــَبْلُ تعاستي مفـتولُ
هـــذي الـجــراح ، أمــا تـحــرَّك سـاكـنـاً فــيـــكـــم ، أمـا للغافلـيـــن عـقــولُ؟
مـــا زلــتُ أحــزم لـلـجـهـــاد حـقـائـبي لكنـني عـــن ســاحـتــي مـعــــــزولُ
أوَ مــا تــرون الــقـومَ يـدفــــع بـعـضـُـهـم بعـضـاً إلـَّي ، فـقــاتـــــلٌ وقـتـيـلُ؟
خـانــوا صــــلاح الــديــن في أحــفـــــاده فـــأعــزُّهــم لـلـغـاصـبـيــن عـمـيـــلُ
أوَّاه لـــو أبــصــرتـــــم الــطـــفـــــل الذي أمـسى ، وهـيـكــلُ عـظـمـه مشلــولُ
أوَّاه لــــو أبــصـــــرتـــم الأمَّ الــتـــــــــي مـــــاتـت ، ولا كـــــفنٌ ولا تغـسـيلُ
هـــذا فـــــتـــىً بـالأمــس هــاجــر خائفا مـــــتـــــرقـــّبـــاً ، والاسمُ إِسماعـيـلُ
مـــن أســـرةٍ مـعـــروفـــــة بــصـــــلاحها مـــا شــــابـهـــــــا زيف ولا تضلـيلُ
خـــــرجـوا مــن الـبـيـت القديم،أمـامــهم دربٌ مـــــــن القصف العنيف طويـــلُ
رحـلــوا مـن الـبيتِ المـهــدَّم خـمـســـــةً والــجـــــــــوع قاسٍ ، والطعام قلـيلُ
وصـــلـــــوا إلـــى "زاخـــــــو" بغير أبٍ ولا أمٍّ فـــلـــم يَـشـــــف القلوبَ وصـــولُ
وصــــلـــوا وقــد نـقــصـوا وشُـتِّت شملُهـم وأصــــــابـهــم بـعـــد الصـعـود نـزولُ
وصــــلــوا إلى "زاو" فـمـا وجـدوا ســــوى كـــــــفَّ الصليب ، غذاؤُها مـبـــذولُ
وصـــلــوا وأعـيـنـهـــم سـؤال دامـــــــــعٌ لــو كـــان يـــدرك ما جرى المـسـؤولُ
أين الأحبة، يا صـــخــــورُ تــحـــدثـــي هــل مـــــن أخٍ يمحو الأسى ويُزيـل؟!
أيـــن الأحــــبـــَّة، واستجـاب مــنـصـــَّرٌ لـنــدائــنـــــــا، في كفِّه الانجـيـــلُ!

"هـابيــلُ" يرسم لـوحـــةً مـــن جـرحــه فـمـتـــى يـنــال جزاءه "قابيــلُ"؟!
يا قومـنــا ، إنــَّا نـرى جـــزَّارَنـــــا وعـــلـــيـــه من إِغـضـــائكـم إكليل
أو ســنَّ هــذا فــي الحياةِ "مـحــمــــــَّدٌ" أتـــلاه فــــي قـــرآنـنـا جبريلُ؟!
يـا إخــوةً الإســلام ، ســاومــنــا عــلــى إيــمـــانـنــــا مـَنْ قـلبُه مغلـولُ
عـُرضتْ قـضيـّتـُنـا ولـيس لـمـتـنهـــا شــــرحٌ يــفــيـــــد، ولا له تذيـيلُ
يــا إِخـوةَ الإســلام ، هـــذا ثــــوبـُـنــــا بـــــدمـــوعـنـــــا ودمـائنا مبلـولُ
عـجـبـــاً ، أتـنتظرون أنْ تُمحـى بـكـــم أرضٌ ، ويـــــدعـــو الناسَ إسرافيلُ؟!
عـجباً ، أتـنـتـظــرون أنْ يـُلغى بــكـــم في الـبـحر، تعـبثُ بالرؤوس ذيولُ؟!
عجباً ، وينطفئُ السؤال ، ويـنـمحـــــي أثــــــرُ الجواب ، ويخطئُ التعلـيلُ
لا البدرُ أنشدنا الضياءً ، ولا شــــــدتْ فينـــــا النجومُ ، ولا استضاء دلـيلُ
كلاَّ ولا روت الـشـمــوعُ حــكـــايـــــةً مـــن نــورهـــا، أو أفـصح القنديلُ
عـــذراً - أخــا الإســـلام - صوتك ظاهــرُ لـــكـــنَّ سمـــع الـغــافـلـيــن ثقـيـــلُ
شـغـلتـهْـم الأهــواء عــن أمجــادهـــــم فـالـَّشـهــمُ فـيـهـم خائفٌ مـخـــذولُ
عذراً - أخا الإســـلام - إنَّـــا أمـــــةٌ مـــا زال يـقــلـــب رأسها التطـبـيــلُ
أجـــفـــانُ أمـتـــنــا تُـكحَّل بالــقـــــذى أيراكَ جَـفـْنٌ بــالــقـــذى مكحـولُ؟!
أو ما رأيتَ رجـالـهـــا قـــد هـــرولـــوا ووراءهـــم بــالسَّوط "إســرائـيــل"؟!
كـم أوَّلـوا مــعــنــى الــســلام فـأشــرقـــتْ شمـسُ الـضحـــى فتهافت التأويـــلُ

يـا مَـنْ صـلاحُ الـديـن منكم ، لـم أزلْ أرنـو إلـيـه ، وسيـفـهُ مـسـلُـولُ
كـسـر الـصـلـيـبَ وحـرَّر الأقـصى، فـمـا عـاش الصليبُ ولا استقرَّ دخـيـلُ
مـا زلـتُ أبـصـره يـنـاجـي ربـَّه والـنـجـمُ غافٍ ، والهلالُ كليـلُ
يـدعـو وقـائـمُ سـيـفـه مُعْشَعوشـبٌ بـالـمـكـرمـاتِ ، وحدُّه مصقـولُ
يـدعـو فـتـنـتـعـشُ الـدروب ويـنـتـشـي "قـدسٌ" ويـفـرح بالـلقاءِ "خـلـيـلُ"
يـدعـو فـيـُفـْتـَح كلُّ بـابٍ مـقـفـلٍ ويـصـُكُّ سـمـعَ الغافلين صـهـيـلُ
مـا زلـتُ أبـصـره ، وأبـصـر أمـتـي في عـصـرنـا، وإزارُها مـحـلـولُ
فـأكـاد أخـرج مـن ثـيـاب عـزيـمـتـي ويـنـالـني بعد الثبات نُـكـولُ
عذراً - أخـا الإسـلام - إنَّ مـشـاعري نَـهـرٌ ، خـريرُ مياهه تـبـجـيـلُ
كـم مـن أخٍ قـتـلـوه ظـلـمـاً بـيـنـكـم فـكـأنّـمـا أنا، لا هو الـمـقـتولُ
هـذا دلـيـل أخـوَّةٍ فـي الـلـه لا يـخـفـى ولا يـتـغـيـرُ الـمـدلـولُ
صـبـراً - أخـا الإسـلام - إنَّ نـهـارنا آتٍ يـصـول بـنوره ويـجـولُ
طـرقُ الـسـيـاسـة يـا أخـي معوَجةٌ كـم ضـاع فيها سائسٌ ودلـيـلُ
الـلـه مـولانـا ومـولاكـم وفي كَـنَـفِ الـمـهـيـمـن نـصـرُنـا المـأمولُ

المسلمون والعالم

رسالة مفتوحة إلى المجاهدين الأفغان

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

حضرات الإخوة الكرام قادة الجهاد الأفغاني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأحـمـد إلـيـكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على رسوله محمد ، وأهنئكم بما من الله به على المسلمين عامة من خير على أيديكم ، وفي مقدمته دحر الشيوعية الحمراء العفنة التي لا تؤمــن بـرب ، ولا تحـتـرم ما جاء الإسلام باحـترامه من الضروريات الخمس وغيرها ، والتي لاقى منها المسلمون الأمـريــن خـــلال الحكم الـروسـي الـذي دكـت مـعاقـلـه ، وفرقت جموعه ، وأعلن إفلاسه بسبب جهادكم الميمون ، ولاقت الجزيرة العربية وغيـرهـــا مــن الـثورات القائمة بها على مبادئه العنت الكثير والشر المستطير الذي لا يزال من بلى به يرزح تـحـت ويـلاتـــه . فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وزادكم خيراً إلى خيركم ، ورشداً إلى رشدكم ، وعزاً إلى عزكم ، آمين آمين . وبعد: فأذكركم - لا أعلمكم - بأن جهادكم قام لدحر الشـيـوعـيــة - وقــد دحرت والحمد لله - ولإقامة حكم إسلامي حقيقي على أرض أفغانستان ، ينطلـق به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومدت إليكم الأيدي بالأموال الطائلة جهاداً بالمال معكم ، ودخل صفوفكم من تعلمونهم وممن لا تعلمونهم من عرب وغير عرب من شتى أنحاء العالم ، باعتباره جهاد المسلمين عامة ، ولقى ربه منهم من لقيه في ميادينكم الجهادية ، وأطلقت الألسن بالخطب والمواعظ والأشعار لدعمكم بالمال والرجال ، وأعلنت الفتاوى الشرعية من علماء من ذوي الصدارة في العالم الإسلامي والأهلية في الفتوى في سنوات الجهاد الأولى بأن الجهاد معكم فرض عين ، ومن أولئكم شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، حفظهما الله وغيرهم . وأبليتم أنتم وأتباعكم في هذا الجهاد من البلاء الحسن ما بدت ثماره تقطف - والحمد لله - أتم الله لكم جهادكم وأقر أعينكم بتحقق ما أملتموه من قيام دولة إسلامية حقيقية لا اسمية ، كما هي الحال لدى بعض المسلمين ، وكما يراد بكم الآن . ولكن الشيء المفزع للمسلمين عموماً ، ولمن شارككم في جهادكم بنفس أو مال أو قول خصوصاً ، ما يرى من مسعى عظيم لقطف ثمرة هذا الجهاد العظيم والانتصار الهائل من غير أهله الحقيقيين من إبراز وتلميع رموز لإدارة حكمه الجديد المنتظر لا يرجى منها أن تحقق الهدف الذي قام الجهاد ودعم بن أجله ، وحسبهم منقصة وصف الغرب وعملاؤه لهم بالمعتدلين ، وإتاحتهم الفرصة لضرب الميليشيا الشيوعية للمجاهدين ، ومنهم من قلتم عنه أنتم الأربعة - سياف ، رباني ، حكمتيار ، يونس خالص وحضور مولوي محمد نبي - لما حضرت لديكم ببيشاور قبل 9 سنوات بتكليف من سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز وصحبة الشيخ صالح السعود العلي والشيخ صالح المزروع للتقريب بين وجهات المجاهدين واتحادهم أنه طرقي مبتدع ، بدعته لا تجيز اتحاد المجاهدين معه! واليوم وأمس ينصب لرئاسة الحكومة التي جاهدتم أنتم

ومن تعاون معكم لإقامتها! سبحان الله! إنها لخسارة إن لم تُتَدارك ، ونكسه وقاكم الله شرها .
فيا إخوتي في الله وأحبتي فيه : أناشدكم الله وأعيذكم بالله أن تضيعوا جهود المسلمين عموماً ، ابذلوا الجهد فيما يحقق ما قصدتموه وأعلنتموه ، وقاتلتم من أجله ، حتى ولو أدى الامر إلى إستمرار الجهاد ضد أهل البدع المكفرة أو الأفكار المنحرفة لغرب أو لبقايا شرق ، مستعينين في ذلك بالله -سبحانه وتعالى- الذي أوصلكم إلى هذا الأمر بعد أن كنتم مستضعفين باذلين في جمع كلمتكم وتوحيد صفوفكم ما تملكون من نفس أو نفيس لتحقيق هدفكم الحق المنشود من إقامة حكم إسلامي لا يد فيه لشرق ، ولا لغرب ، ولا لرافضي ، ولا لطرقي ، ولا لمن يأتمر بأمرهم ، منطلقين من كتاب الله وسنة رسوله ، وسير الملتزمين لهما بين أئمة الهدى .
نرجو الله الذي أفرحنا - نحن المسلمين - بانتصاركم على ألد خصم وأعنته للمسلمين في الدنيا يوم أن بدأتم جهادكم معه قبل 14 سنة بعشرين رجلاً ؛ أن يفرحنا بقيام الدولة التي جاهدتم من أجل قيامها . وفقكم الله وجمع كلمتكم على الحق ، إنه سميع مجيب .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخاض في أفغانستان

د. يوسف الصغير

لم يكن التدخل في أفغانستان بالـنـسـبـة للروس إلا حلقة من حلقات التوسع الذي مارسوه بنجاح لعدة عقود ، وبنفس الأسلوب تمَّ إنـشـاء ودعم مجموعات وأحزاب شيوعية تتغلغل في السلطة القائمة وتبطش عن طريقها بخصومـهـا ثم تنقض على السلطة وتستولي عليها ثم تتبع ذلك بعملية تصفية للمجتمع القديم ثقافياً واجتماعـيــاً واقـتـصـاديـاً مع فرض النظام الاشتراكي وربط البلد ربطاً تاماً بالمنظومة الشيوعية .
كانـت أفـغـانستان منطقة صراع على النفوذ بين كل من بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية التي احتلت تركـسـتــان الغربية المحاذية لأفغانستان في الشمال ولم تكن روسيا البلشفية (الشيوعية) إلا وريثاً للنظام - الاستعماري القديم حيث أعادت احتلال تركستان بعد فترة من عدم الاستقرار وبدأت تتطلع إلى تنفيذ الحلم الروسي القديم بالوصول إلى المياه الدافئة .
ولذلك بادرت لنشر المبادئ الشيوعية في المنطقة وتم لها ذلك حيث بدأ نشاط الشيوعيين في أفغانستان منذ الثلاثينات الميلادية في هذا القرن . وبدأ التغلغل في بنية النظام القديم ولما رأوا في أنفسهم قوه قرروا استلام السلطة من وراء الستار فقاموا بانقلاب عسكري شيوعي في عام 1973 م ولكن باسم محمد داود ابن عم الملك الذي كان رئيساً للوزراء لعدة فترات

متعاقبة واستغلوا حقد محمد داود على الإسلاميين فقاموا بضرب الحركة الإسلامية باسمه وحاول الإسلاميون توضيح هوية النظام ولكن دون جدوى حيث أن العلماء التقليديون وعامة الناس لم يتصوروا أن محمد داود سليل الأسرة الكريمة عدوٌ للإسلام وألعوبة بأيدي الشيوعيين الذين يلبسون لباس العلمانية .
ولما أراد الله بهذه الأمة خيراً أوقع الشقاق بين محمد داود وحلفاءه الشيوعيين فقد أحس بالخطر الشيوعي على نظامه فحاول التقرب من إيران وأمريكا فبادر الشيوعيون إلى إسقاط النظام وقتل حليفهم محمد داود وجميع أفراد عائلته وتم تنصيب محمد طراقي رئيساً للدولة وهنا بدأت تتضح الأمور للعامة قبل الخاصة .
وبدأ الجهاد يكسب التأييد الشعبي وقام النظام بعمليات قمع وحشية لم تزد المجاهدين إلا قوة وإصراراً واضطر الروس إلى دعم النظام عن طريق المستشارين والدعم الاقتصادي والعسكري وكانت أقدام الدب الروسي تغوص في الوحول تدريجياً واكتشف الروس متأخرين أن الشيوعيين الأفغان قد أخطأوا في حساباتهم ولكن التراجع كان غير ممكن نظراً لأن سياسة الكرملين كانت دعم أي نظام شيوعي في العالم بكل وسيلة ومهما كانت التضحيات ، وفي نفس الفترة كان الروس يحاولون تثبيت النظم الشيوعية الجديدة في كل من أثيوبيا وأنجولا ونيكارجوا وذلك بواسطة عملائهم الكوبيين ولكن في أفغانستان لا مفر من التدخل المباشر خاصة بعد استفحال الصراع الداخلي بين الأجنحة الشيوعية حيث دبر انقلاب عسكري قتل فيه محمد طراقي مما جعل بريجينيف ينتفض من الغضب على مدبره حفيظ الله أمين ويأمر الجيش السوفييتي بالتدخل وقام الروس بقتل حفيظ الله وتنصيب بابراك كارمل الذي جاءوا به من خارج أفغانستان على متن دبابة .
وكانت القوات الغازية مكونة في غالبيتها من الجنود القادمين من الجمهوريات الإسلامية وذلك لتشابه الملامح في محاولة لخداع الرأي العام ، ولكن أولئك الجنود اكتشفوا أنهم لا يقاتلون الصينيين والأمريكان بل يقاتلون ثواراً مسلمين وبدأت نسخ القرآن الكريم تتسرب إلى الجنود ومنهم إلى داخل الجمهوريات ، ولذلك سارع الروس بسحب هذه القوات وحلت محلها قوات قادمة من الجزء الأوربي أي روس وأوكرانيون وغيرهم . وهنا بدأ الروس يحسون بالخسائر البشرية التي بلغت حداً كبيراً نتيجة لتوسع الجهاد ومسارعة الشعوب الإسلامية لمده بالمساعدات ، ثم تدخلت الأطراف الدولية في الصراع وبدأت أمريكا ترى في أفغانستان فرصة للانتقام من الروس الذين أذلوهم في فيتنام وبدأت الأسلحة الحديثة تصل إلى أيدي المجاهدين عن طريق الوسطاء الإقليميين ومن أهمهم الباكستانيون وكان الهدف الواضح هو إخراج الروس وليس أكثر من ذلك وبدأ الروس يعترفون بخطورة الوضع وبدأت الدعوات

لحل سلمي للقضية ولكن المشكلة هي : ما هو البديل المقبول للنظام الشيوعي الذي لا أمل له في البقاء ؟
* الملك ظاهر شاه : نعم إنه أمنية ليس فقط لمحبيه من الأفغان مثل مجددي وجيلاني وبالتالي لأمريكا ولكن أيضاً هو أمل للروس ، وقد أعلن نجيب استعداده لمبايعة الملك ولكن المجاهدين وقفوا بالمرصاد لهذا الحل وبينوا أن الملك هو سبب المشكلة وأنه منذ الانقلاب وهو قابع في إيطاليا وكأن الأمر لا يعنيه .
* نظام علماني صريح على النسق الغربي : نعم إنه مقبول من الروس والأمريكان ومن شايعهم ولكن لا يمكن إنجاحه في أفغانستان فالمجاهدين لا يمكنهم القبول به .
* نظام علماني ملبس بغطاء إسلامي خفيف وهو ما يقبله الكبار والصغار ويمكن أن يُخدع به الكثيرون من الطيبين في داخل أفغانستان وقد يعارضه بعض المجاهدين المتميزين أو الذين يسمونهم بالأصوليين .
وبدأت رحلة من التصعيد العسكري والغزل السياسي وطرح مبدأ المفاوضات في جنيف وكان موقف المجاهدين أنهم لا يتفاوضون إلا مع الروس وأن حكام كابل ما هم إلا عملاء لهم ورضخ الروس للأمر وبدأت المفاوضات على أنهم هم الطرف الثاني في القضية وأعلنوا أنهم سينسحبون من أفغانستان . تم الانسحاب في 15 فبراير 1989 م وبدأت الأطراف الإعداد لما بعد الانسحاب (1) فمن الجانب الشيوعي قام الروس بتكثيف دعمهم للجيش الأفغاني ودعموا ميليشيات قائمة على الانتماء العرقي وسُلحت ميليشيات في مختلف المناطق وكانت فكرة شيطانية حيث أنهم جموع من العوام الجهلة الذين يقاتلون لمن يدفع المال ولا يهمهم غير ذلك .
وفي الجانب الآخر كانت الجهود محمومة أيضاً ، فقد فرض على المجاهدين وحدة أُدخل فيها العملاء مع العلماء المجاهدين وتكونت حكومة مؤقتة بزعامة مجددي لإتمام حل القضية وإسقاط النظام . ولكن تبقى مشكلة كبيرة ، أن القوى التي تسمى متطرفة هي القوية على أرض الواقع وهي التي تملك السلاح ولأنها هي القادرة وحدها على القتال وغيرها يحسن التصريحات والخطب والمؤامرات وخوفاً من امتلاك المجاهدين لكميات كبيرة من السلاح بعد انسحاب الروس فقد تم ترتيب الأمور التالية :
- تدمير السلاح الذي كان في طريقه إلى المجاهدين عبر خطوات كان من بينها تفجير مخازن السلاح المعد للتسليم للمجاهدين وقد وقع عدد كبير من القتلى بين المدنيين بسبب ذلك .
- الضغط على الحكومة المؤقتة للمجاهدين وتوضيح أن أمريكا وحلفاءها لا يمكن أن يعترفوا بحكومة لها وجود فعلي على أرض أفغانستان واستعجلوا المجاهدين وأملوا عليهم طريقة إسقاط النظام ، فزينوا لهم تحرير جلال آباد

حتى يتم الاعتراف بهم ووقعت الكارثة حيث إن المجاهدين قد أعدوا وسلحوا للقيام بحرب عصابات فلما تم وضعهم أمام جيش نظامي وجهاً لوجه كانت التجربة مرة وفشل المشروع من جهة المجاهدين ونجح الآخرون ، فقد تم استهلاك كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة بدون طائل ومن بينها استشهاد كثير المجاهدين ومن بينهم كثير من المجاهدين العرب .
وأياً كان سبب الفشل فقد كانت عملية جلال آباد من أهم أسباب صمود النظام حيث ارتفعت معنويات أركانه وتبخرت آمال المجاهدين بنصر سريع كما هو متوقع لو استمروا بحرب العصابات ، وهنا تحمس أعداء الإسلام فبدأت الأم المتحدة تطرح بقوة مبدأ حكومة موسعة يشترك فيها الشيوعيون ، ثم تنازلوا وطرحوا فكرة إدارة مؤقتة على أن تستمر (45) يوماً يعقبها عقد لوياجركا يتم عبرها انتخاب حكومة مؤقتة . وقد رفضت الأحزاب الجهادية هذه الخطة "خطة سيفان" ، وقبلها مجددي وجيلاني وقدما قائمة بأسماء مرشحيهم(2) .
وعلى الرغم من أن بنيون سيفان نفى أن تكون هذه القائمة ممن اختارتهم الأمم المتحدة وذلك في مقابلة مع هيئه الإذاعة البريطانية فإن طائرة تتبع الأمم المتحدة قد جلبتهم إلى إسلام آباد برفقة سيفان (3) في خضم نشاط الأمم المتحدة المحموم لتجنب قيام حكومة إسلامية ولكن الأحداث تجاوزت كل هذه الأطروحات .
وقد بدأت الأحداث الأخيرة بقيام نجيب بمحاولة عزل بعض الجنرالات في الشمال مما أدى إلى تمرد ثلاثة جنرالات وقامت المعارك بينهم وبين القوات الموالية للحكومة فاستغل المجاهدون الفرصة فقاموا بتكثيف هجماتهم ، وتم لهم احتلال مزار شريف في 24 رمضان التي تعتبر العاصمة الاحتياطية عند سقوط كابل ، وعندها قام نجيب بالقاء خطاب يعلن فيه استعداده للاستقالة إذا تم تشكيل حكومة انتقالية وذلك بعد لقائه مع سيفان مندوب الأمم المتحدة ، وقد تردد أن الجنرال رشيد دستم قد عرض على المجاهدين أن يمكنهم من السيطرة على منطقة مزار شريف شريطة أن يعترف به كأحد فصائل المجاهدين (4)، ويبدوا أن هذا هو الذي حصل مع أحمد شاه مسعود وقد استمر تقدم المجاهدين إلى كابل وعندها أعلن في كابل عن تكوين مجلس عسكري مكون من الجنرال محمد أمين عظيمي نائب وزير الدفاع والجنرال بابا خان والجنرال آصف دويلاور والجنرال عبد المؤمن أحد الذين تمردوا على نجيب في الشمال . وتعتبر هذه التحركات محاولة أخيرة من أركان النظام الشيوعي للإبقاء على أنفسهم . وأما الميليشيات التي كانت رأس الحربة ضد المجاهدين فقد أعلنت فقط قبل أيام من سقوط نجيب انضمامها لبعض المجاهدين أو بالأحرى تحالفها معهم وقام كبار الضباط بالقيام بانقلاب وهمي لأن سقوط كابل كان مسألة وقت حيث تم عزلها من جميع الجهات حتى

اضطرت أمريكا أن تضغط على باكستان لإرسال المؤن عن طريق الجو إلى كابل وكانت حركة مبعوث الأمم المتحدة وقدوم بطرس غالي إلى المنطقة وزيارته باكستان وإيران هي محاولة لتكوين موقف ضد الخطر الماثل ألا وهو قيام حكومة إسلامية من قبل المجاهدين ، وكان التنافس بين المجاهدين هو المدخل الذي دخل منه الأعداء حيث وقفوا مع طرف حتى يضعفوا الطرف الآخر ثم ينقضوا على الجميع ، وقد قامت طائرات النظام بنقل القوات من الشمال سواء التابعة للميليشيات أو الجمعية وذلك حتى تسبق الحزب الإسلامي وتستولي على كابل .
وتبين أن خطة الأمم المتحدة غير ممكنة التطبيق على الرغم من دعم باكستان وإيران لها ومع ذلك فإن اليأس لم يتطرق للأعداء الذين حنوا رؤوسهم للعاصفة مؤقتاً ليحققوا ما يستطيعون من مكاسب . فإنه لما اتفق المجاهدون على تشكيل حكومة يرأس فيها الدولة رباني ويتولى حكمتيار فيها رئاسة الوزراء اقترح بعض الأطراف أن تكون هناك حكومة مؤقتة لمدة شهرين بقيادة مجددي مما أعاد خلط الأوراق حيث أن شخصية مجددي ليست هي الأمينة أو المؤهلة للقيام بهذه المهمة المصيرية .
لم يقبل حكمتيار تعيين مجددي وأعلن أنه سيدخل كابل ، ولكن أطراف المجاهدين الأخرى لسبب ما وقفت مع أحمد شاه مسعود ومجددي ومن والاهم من الميليشيات والمجلس العسكري ، وقامت الميليشيات بخوض المعارك الطاحنة في كابل لإخراج قوات الحزب الإسلامي التي دخلت كابل في وقت سابق وتعرض حكمتيار إلى هجوم عسكري من الميليشيات وإعلامي في أجهزة الإعلام كافة التي كانت تطبل لمجددي ومن حوله ، وكانت إيران أكثر الأطراف حنقاً على حكمتيار حيث أنها لا يمكن أن تتحمل قيام دولة سنية مجاورة لها فكشرت عن أنيابها ، وأعلنت إذاعة طهران أن إيران تتابع الوضع عن قرب ، وأنها لن تقبل بغير صيغة الأمم المتحدة إلا أن تتولى السلطة مجموعة مناسبة لها(5) ، وكان استقبال إيران لبطرس غالي حافلاً ، فأهدافهم واحدة وقد تنبه بعض قادة المجاهدين للدور الإيراني وكان حكمتيار ويونس خالص أكثرهم وضوحاً .
أما باكستان التي كان لها موقف طيب من الجهاد نوعاً ما ، فقد تبنت الحلول المستوردة ، وتردت علاقتها مع حكمتيار ومع الجماعة الإسلامية الباكستانية التي خرجت من الائتلاف الحكومي .
وما أن وصل مجددي حتى كان في استقباله الجنرال محمد عظيمي ووزير الخارجية الشيوعي عبد الوكيل وبدأ بدلاً من إقرار الأمن ودفع تعدي الميليشيات بإصدار قرارت العفو عن الشيوعيين ، والطلب من قوات الحزب الإسلامي أن يلقوا السلاح ، وبدأت الأصوات تعلو وتقول : إن الحزب خرج على الحكومة، وأنه لا يمكن أن يقبلوا به رئيساً للوزراء ، بل لقد صرح زعيم

الجبهة القومية أحمد جيلاني بأنه يرفض الاشتراك في حكومة للمجاهدين يتولى رئاستها زعيم الحزب الإسلامي ، وعن رأيه في تركيبة الحكومة الحالية قال : ليست حسب رغبتي وطموحاتي فمعظم المقاعد المهمة والحساسة ذهبت للمتطرفين ، وعندما سئل هل يعتبر رباني من المتطرفين راوغ ولم يجب(6) . واضطرت قوات الحزب أن تخرج من معظم أنحاء كابل وسط التهليل العالمي لهذه الانتكاسة لرأس المتطرفين . ولكن الأمور بدأت تتغير وتميل لصالح الحزب الإسلامي وذلك لعدة أسباب :

1- إخلاص بعض القادة الذين كانوا قد خدعوا من قبل ، فما أن وصل يونس خالص وسياف حتى ساءهم ما آلت إليه الأمور واقتنعوا بأن مع حكمتيار الحق في رفضه للمليشيات وفي رفضه لمجددي ، أما رباني فكانت اتصالاته مستمرة مع حكمتيار لأنه يعي حقيقة أن الأمور قد تخرج من يد الجمعية إذا كانت الأمور بيدها حقيقة .

2- عدم التناسق بين أطراف التحالف فأحمد شاه مسعود يقال أنه معتدل ولكنه لم يصل إلى حد التفريط بالخيار الإسلامي ، فسرعان ما تصادم مع دستم ، ولكنه يرى أنه مضطراً للتعامل معه ومع المجلس العسكري.

3- تسرع مجددي في تصرفات وتعيينات وإقدام على أمور ليست من اختصاصه ، مما يتبين أن له هدفاً مرسوماً ولكنه منفذ غير حكيم ، فهو يهاجم بشدة حكمتيار ويعفو عن الشيوعيين بل ولا يرى مانعاً من العفو عن نجيب ، ومن جانب آخر يسارع لتعيين أتباع حلفائه مثل تعيين الجنرال عبد الرحيم وردك الذي يتبع جيلاني رئيساً للأركان بدون استشارة مسعود وزير الدفاع الذي هو الآخر له حساباته فيصر على بقاء رئيس الأركان في منصبه ، بل إنه لما رأى بوادر تقارب بين مسعود وحكمتيار طار إلى مزار شريف والتقى مع دستم وعينه جنرالاً في الجيش وامتدح جهاده لمدة ست سنوات (أي ضد المجاهدين) ، بل لم يتورع عن التصريح في باكستان أنه يتحفظ على تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً ، وقبل ذلك كان يكرر أن الشعب يحبه ويرغب في بقائه وأنه لا مانع لديه من البقاء لمدة سنتين حيث أن الشهرين لا تكفي .

4 - براعة الحزب وعدم وقوعه في الشراك ، فإنه تجنب المواجهة الشاملة أولاً ، وركز على أن مشكلته ليست مع الجمعية ولا مع مسعود بل مع الميليشيات مما قوى موقفه وأضعف خصومه ، وقد تم أخيراً اللقاء بين مسعود وحكمتيار وتم الاتفاق بينهما على أمور نرجو أن يكون فيها كل الخير وأن يتم تطبيقها حيت أن هناك كثيراً من الأطراف لا تريد أن يتم اتفاق بين المجاهدين لأنهم يعرفون أن فرصتهم الوحيدة لتسيير الأمور هو اختلاف هذين القطبين .

5- صفاقة قائد الميليشيات دستم حيث عرض التقسيم على أساس عرقي في أفغانستان وهذا ما لم يقبل به المجاهدون ، وقد ردت الجمعية على ذلك ببيان

طويل وأيضاً فإن تصرفات الميليشيا في كابل أحرجت مسعود حيث إنهم يتصرفون باستقلالية بل قال عبد المجيد نائب دستم من يستطيع أن يمنع الجنرال دستم إذا قرر الذهاب الليلة إلى التلفزيون وإعلان نفسه رئيساً(7) .

اتفاق حكمتيار ومسعود :

بعد التأجيل لمرات عديدة بل وقيام قوات تتبع محمد بن محمدي حليف مجددي بمنع مسعود من الوصول إلى مكان الاجتماع تم اللقاء المرتقب (24/11/1412) وفيه تم الاتفاق على الآتي :

* عدم تمديد ولاية رئيس المجلس الانتقالي للمجاهدين .
* أن يتسلم برهان الدين رباني رئاسة الدولة .
* سحب قوات الميليشيات من كابل وإحلال قوات محايدة مكانها .
* إجراء انتخابات رئاسية في غضون ستة أشهر وبرلمانية في غضون سنة .
* تسليم أمن العاصمة إلى المجاهدين بإشراف وزارة الداخلية وتشكيل لجنة لفض المنازعات(8) .

وإذا كان هذا الاتفاق بداية لتعاون نرجو أن يساعد في تجاوز هذه المرحلة الصعبة بأكبر قدر ممكن من المكاسب وأقل حد ممكن من الخسائر فإن لنا كلمة يحب أن نقولها :

قال تعالى : ((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال 45] ، وقال تعالى : ((إنَّ الَذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)) [الأنعام 159] ، ولا أظن أننا بعد هذه الآيات الواضحات بحاجة إلى بيان خطر الفرقة والتنازع وأنها سبب الفشل والخذلان وهذا شيء ملموس ولكن ليس معنى هذا أن ننسى أن الله جمعنا على دين وفرق بيننا على أساس الدين والاجتماع ليس على أساس العرق أو القبيلة أو اللغة أو الحزب بل الأصل فيه هو الدين ، وهذا أمر يجب أن يعطى أكبر الاهتمام فبلاد أفغانستان بلاد واسعة كثيرة الأعراق والقبائل فلا تجمعها لغة ولا قبيلة ، بل لا يمكن أن تجتمع إلا على دين حق وهذا يلقى على كاهل الدعاة والمربين مسؤولية كبيرة في جمع هذه الأمة المجاهدة على اعتقاد سليم ومنهج منضبط وطريق مستقيم .

جدول الشخصيات التي اختارتهم الأمم المتحدة :

1-عبد الصمد حامد	نائب رئيس وزراء في عهد ظاهر شاه
2-عبد القادر سيرت	وزير عدل سابق في عهد ظاهر شاه
3-البروفسور أصغر	وزير عدل سابق في عهد ظاهر شاه ورئيس بلدية كابل
4-الدكتور طبيبي	وزير سابق وزير سابق في عهد ظاهر شاه
5- الدكتور ابراهيم حفيظي	وزير صحة سابق في عهد ظاهر شاه
6-عبد الحكيم	جنرال شرطة سابق ومسؤول عن أمن كابل

7-عبد الجبار ثابت مذيع في صوت أمريكا
8-اختر محمد بختري مسؤول سابق عن الطيران في عهد ظاهر شاه
9-يعقوب لالي وزير معادن في عهد ظاهر شاه
10-الدكتور يوسف رئيس وزراء سابق في عهد ظاهر شاه
11-عبد الوكيل وزير زراعة سابق في عهد ظاهر شاه
12-يحي نوروز جنرال سابق يعمل مستشاراً لمجددي حالياً
13-هاشم مجددي تاجر سابق يقيم في المدينة المنورة
14-شمس تاجر سابق يقم في ألمانيا
15-جمعة محمدي وزير سابق في عهد ظاهر شاه
16-رسول أمين رئيس اتحاد كتاب افغانستان الحرة
17- عبد السلام عظيمي رئيس جامعة كابل سابقاً ومدير مكتب جامعة نبراسكا الأمريكية في بيشاور حالياً

الهوامش :

1- "صرحت المتحدثة باسم البيت الأبيض الأمريكي أن المحادثات بين الزعيمين الأمريكي والسوفيتي بشأن أفغانستان قد أظهرت وجود تشابه كبير في وجهات النظر للجانبين فيما يتعلق بالصورة النهائية التي يريدان أن تكون عليها". أفغانستان الحاضر والمستقبل 12 ذو الحجة 1410 هـ .
2- انظر الجدول المرفق في نهاية المقال .
3- الحياة 13/10/1412 هـ .
4- الجهاد رمضان / شوال 1412هـ ..
5- الحياة 17/10/1412 هـ .
6- الحياة 27/10/1412 هـ .
7- الحياة 25/11/1412 هـ .
8- الحياة 25/11/1412 هـ .

أفغانستان
درس في السياسة الدولية

د. عبد الله عمر سلطان

في القرن المنصرم ثارت نار الصراع المحـتدم بين بريطانيا والقيصرية الروسية للسيطرة على أفغانستان ، كانت الأمبراطورية البريطانية تحصد غنائمها الهندية بعد سقوط آخر الممالك الإسلامية في شبه القارة.. كما كانت المـسـتعمرات المرتبطة بالمنجم الهندي الضخم تتهاوى تحت غطاء نيران بوارج الأسطول الملكي من الخليج وحتى قناة السويس.. في ذات الوقت

كانت القيصرية الروسية الأقل تحضراً والأكـثــر تطرفاً في برنامجها الصليبي الأرثوذكسي تسعى للحصول على حصة استعمارية ثمينة بـعــد نجاحـات متراكمة في جمهوريات آسيا الوسطى أو ما كان يعرف بتركستان...
وبين الدب الروسي الجائع والمستعمر النهم ، كانت أفغانستان هي الحديقة الخلفية التي تنازع عليها "السارقان" ، فاللص الروسي الطموح يرى في أفـغـانسـتان مـنفـذه على القارة الهندية ومياه الخليج الدافئة التي تجعل من أسطوله قوة مرعبة ، أما المستعمر البريطاني المتمرس فقد كان يرى في سقوط ممر خيبر في أيدي الروس بداية التسلل إلى المستعمرة الأهم في منظومة منهوباته العديدة (الهند).... وحدها أفغانستان لقنت القوتين الظالـمـتين درساً قـاسـيـاً لـكـل مـسـتـعـمـر زنيم.. فلا بريطانيا العظمى نجحت في تطبيق قانون الانـتـداب والاستعمار السائد في ذلك الـعـصـر على هذه البقعة الاستراتيجية، ولا روسيا القيصرية ، بكل آمالها وطموحاتها حققت نجاحاً يذكر في مغامرتها الأفغانية !.
كان قدر الأفغان ببساطتهم وإيمانهم ورجولتهم أن يبرهنوا للعالم الإسلامي المتهاوي - في تلك المرحلة ولا يزال - أن البارجات والجنرالات والمندولين الساميين بضاعة تزدهر في وحول المؤامرات ومستنقع أشباه الرجال.. من الذين تسلموا مقاليد الأمور في سرايا الباب العالي وتصدوا للفكر والسياسة من تلاميذ الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة وما تلاها من نسل كالح تمثل في حركات حصرت نفسها في إطار رد الفعل كالثورة العربية الكبرى التي كان يديرها "لورنس" ؛أسوأ الأمثلة وأكثرها وضوحاً على إفلاس القيادات التي رحبت بأن تكون دمية "النظام الدولي الجديد" الذي كان يلوح في الأفق !.
لقد كانت التجربة البريطانية في أفغانستان باهظة الثمن ولم تنته تلك التجربة وما تلاها من فصول إلا ورياح الإخفاق والانحصار تحاصر "العجوز الإنجليزى" وترمي بأول سهامها نحو نحره الذي ظل يتلقى النصال المتوالية حتى سقطت الإمبراطورية العظمى بعد حين! لتصبح بريطانيا من دول الصف الثاني... أو الثالث .
هذا المصير المأساوي والنهاية الدرامية كانت من نصيب الدب الروسي بعد قرن من زمن حينما خاض في الوحل الأفغاني مرة أخرى دون أن يتعظ من سلفه البريطاني أو مغامرات أباطرته الأوائل !

الأطماع الروسية المستجدة :

كان سقوط الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى على يد لينين نهاية الأحداث والحروب المتتالية بين الشمال الأرثوذكسي المتمثل بالإمبراطورية الروسية والجنوب المسلم الذي تراجعت مناعته وقوته حين شاخت سلطنة آل عثمان وبرزت الدولة الصفوية قوةً رافضيةً متعصبة استطاعت أن تحول إيران وأذربجيان إلى سواد رافضي تقف على رأسه سلطة سياسية تهدف إلى

زعزعة قوة الخلافة الإسلامية عبر التحالف مع القوى الغربية لاسيما الاستعمارية لا سيما روسيا القيصرية وبريطانيا...
وبعد أن استكمل ستالين عمليات الضم القسري لمسلمي بلاد ما وراء النهر كانت أفغانستان لا تمثل في الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هدفاً مباشراً ، لكن خروج الاتحاد السوفييتي منتصراً من حربه الكونية وما أعقب ذلك من محاولات مستميتة لتصدير الثورة ، وتلميع النموذج الروسي /الاشتراكي أصاب أفغانستان داؤه ولو بعد حين..
وفي أفغانستان كما في أي قطر إسلامي كانت الفئات التقليدية "المحافظة" على الوضع لا تدرك مدى شيخوختها وعجزها عن مجاراة النموذج الأيدلوجي الشاب الذي يقف بجوارها.. كانت هذه الفئة التقليدية المحافظة تنظر إلى يومها ولا تفكر بغدها.. ، تعيش هموم اللحظة وتستعر بينها نار الخلافات ويتطاير غبار المعارك التي تجري من أجل الحصول على منفعة قريبة أو متاع حقير... ، لم تدرك هذه الفئات أن "الدين" الذي كانت تمارسه هو مجموعة من الطقوس الصوفية والأفكار الإرجائية والعادات الاجتماعية التي لا تمت لجوهر الدين بصلة في حين أنها تسلب هذا المعتقد أصوله وتقتلع جذوره الحقيقية مكتفية ببعض الأغصان ذات الرائحة الطيبة والطعم المر! وكان ظاهر شاه مستغرقاً في اهتاماته الصغيرة محاطاً بالفئات التقليدية والمنتفعين بوجوده بينما كانت الشيوعية البراقة آنذاك تشق طريقها بتؤدة حتى استطاعت أن تستقطب بعض اقارب الملك وحاشيته كرئيس الوزراء محمد داود... في الجانب الآخر كانت أمريكا ترقب ما يحدث غير عابئة كثيراً بتطورات الأوضاع الداخلية في أفغانستان أو بصراع القوى الدائر بالرغم من المعلومات التي كانت تتوالى من المخابرات الأمريكية في إيران وأفغانستان عن احتمال استيلاء الشيوعيين على السلطة.. وفي نهاية شهر ديسمبر 1959 وبعد الانقلاب الشيوعي الأول دخلت أفغانستان بؤرة الاهتمام العالمي بتحولها إلى حديقة خلفية للصراع المحتدم بين السوفيات وأخذت الأحداث تتسارع والضربات تشتد..
ومرة أخرى ، كان ملفتاً للنظر أن قوة محلية صغيرة العدة والعتاد ، واسعة الأمل عميقة الثقة بقضيتها تنتفض على الواقع الثقيل والجحافل المسلحة بأشرس وأعنف ما عرفته البشرية من آلات الموت ونتاج الدمار...
في البداية كان اسم المجاهدين مثيراً للتساؤل والغرابة.. حتى من قبل أبناء الحركة الإسلامية حيث كانت تجربة مجاهدي فلسطين تتحول أمام أنظارهم إلى مصطلح بشع يتاجر به العلمانيون الفلسطينيون بقضية شعبهم الصبور... ، وما هي إلا أشهر قلائل حتى بدأت القضية الأفغانية تجتذب مشاعر وحماس وجهود المسلمين من كل صقع.. ، وبعد أعوام قليلة ، حينما وقف عبد رب الرسول سياف مخاطباً مؤتمر القمة الإسلامي بالطائف ، كان "المجاهد"

عرفات يهزأ به وبطول لحيته ويقول : "نحن نقف مع الحكومة الشرعية ضد هؤلاء المتمردين المتخلفين!!!!" ، كانت كلمات سياف معبرة عن مفهوم جديد لفهم المتغيرات الدولية حيث تستجيب لتطلعات الشعب الأفغاني وآماله مع التعامل الحذر الذي يرفض الاستجداء والتوظيف والتحالف مع القوى الخفية التي ترمي إلى استغلال جهد وعرق المجاهدين ، مع ما رافق ذلك من ظهور أمثلة العمالة والخيانة والرضى بالدنيا متمثلة ببعض المشبوهين الذين لحقوا بقافلة الجهاد وهم المنحرفون منهجاً والمشبوهون واقعاً .

ثم تكون عليهم حسرة :

"تجد الولايات المتحدة نفسها الآن رغم إنفاقها الملاين من الدولارات على تسليح المجاهدين الأفغان ، لا تملك أي تأثير فعلي على مجريات الأحداث في أفغانستان مع بلوغ الحرب في أفغانستان عامها الرابع عشر، وأصبح دور الحكومة الأمريكية التي استمرت في تسليح المجاهدين حتى وقت قريب مقتصراً على توجيه النداءات بضبط النفس وإصدار بيانات تعرب عن تأييد جهود الأمم المتحدة السلمية، ويقر مسؤولون كبار بوزارة الخارجية الأمريكية بأنه ليس في استطاعتهم فعل شيء يذكر بخلاف متابعة الأحداث وتمني تحسن الأوضاع!!" . بهذه الكلمات لخص محلل وكالة رويتر الموقف الأمريكي في خضم الحديث عن النظام العالمي الدولي الجديد وضرورة تطبيق مبادئ الشرعية الدولية ، كما تريد أمريكا أن تفسر ، ويبرز المثال الأفغاني بمثابة الضوء الساطع الذي يعري حقيقة هذا النظام ومراميه ، ففي الوقت الذي تُوجه نداءات النظام الدولي الجديد للخائفين والمرتجفين بضرورة تدمير هذا السلاح أو القبول الكامل لشروط المنتصرين تبقى بنادق المجاهدين مشرعة وشامخة ومستعلية لإيمانها العميق وعدالة قضيتها منذ أن حركت جموع الشعب الأفغاني في ذلك الشتاء القارس قبل 14 عاماً..

كانت خطة سيفان وقرارات الأمم المتحدة نمطاً آخراً ومثالاً شاخصاً لما يسمى بالنظام العالمي الجديد وتطبيقاته في آسيا.. وها هي الولايات تقف متحفزة ومنتظرة تطورات الأوضاع في أفغانستان بالرغم من زوال شبح الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة... ذلك أن المجاهدين الأفغان في خضم معركتهم الكبرى مع روسيا فجروا لغمين دوليين : انهيار الاتحاد السوفييتي بعد الهزيمة التي أذاقهم أياها أصحاب اللحى الكثة والأيدي الخشنة والجباه الراكعة وتبع ذلك استقلال جمهوريات آسيا الوسطى ذات الأغلبية المسلمة وما سيتركه المثال الأفغاني من استقلالية ورفعة وانتصار ضد كل محاولات الترويض والهيمنة التي تدعي بأنها شرعية دولية أو أنظمة دولية جديدة .

وبانتهاء الحرب بين المجاهدين والشيوعية أصبحت بصمات هذا الخيار الحر تمتد وتنمو لتشكل نموذجاً مليئاً بالحياة مبيناً أن ما يسمى بالنظام الدولي الجديد إنما يقبل الحياة ويرسم مستقبل الشعوب التي تؤمن في لحظة

انكسارها وهزيمتها أن هناك نظاماً مكتوباً ومعداً لهذه المنطقة أو تلك ، وأن أفغانستان المسلمة حطمت خرافة هذه الإدعاءات عندما صبرت وصابرت ورابطت وكسرت مؤامرات السلم كما شمخت وقت الحرب وعواصفها أمام الضغوط الدولية والإقليمية.. وهذا درس مجاني في السياسة الدولية والدراسات الاستراتيجية .

يبقى هذا الدرس رائداً حينما ندرك حجم الأخطاء وأثر الخلافات الداخلية التي رافقت المنحى الإيجابي لهذا النصر التاريخي.. الذي شهد به محلل الوكالة كما شهد به المفكر الأمريكي كريستفور أوقدين . حينما قال: "منذ عام 1980 أنفقت واشنطن أكثر من 2 بليون دولار كأسلحة لقوات المتمردين الذين أسقطوا بواسطة الصواريخ الأمريكية أكثر من 300 طائرة روسية.. لقد حاول الأمريكان أن يقوموا بنفس الحركة مع ثوار الكونترا لكنها فشلت رغم أن الأفغان كانوا يواجهون الروس مباشرة ، لكن رغم تحقق الحلم بانهزام الشيوعيين في أفغانستان فإن التحدي الآن هو في موقف المجاهدين الذين لا يشعرون بالمنة والود تجاه أمريكا ، وبانهيار الشيوعية يبقى الإسلام يمثل التحدي في المنطقة، إنه كالخميرة التي ستنضج في وقت ما وعندها سنجده أمامنا ولا ندري إلى أين ستمتد قامته في وجود الأصوليين كقلب الدين حكمتيار" ، إن ما قاله هذا المفكر الأمريكي يكشف حقيقة المعضلة حين تقارن التجربة الأفغانية بتلك الذيلية التي تتلقى الرعاية وتلتزم بالولاء لأمريكا.. كما أنها تزيح الستار عن مدى الحنق والحسرة التي تنتاب المفكرين والساسة هناك وهم يرون الدعم السابق يحمل في أحشائه التحدي القادم الذي سينفقون ما يقدرون لاغتياله : ((إِنَّ الَذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ والَّذِينَ كَفَرُوا إلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)) .

مسلمو بورما
بين ماض مزهر وواقع مؤلم

أحمد عبد العزيز أبو عامر

حقيقة هامة علمناها ديننا الحـنـيـف وهي أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كالجسد الواحد كما جاء في حديث النعمان بن بشـيــر -رضي الله عنه- ، قال رسول الله : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ، وهذا شعور كل مسلم تجاه إخوانه المسلمين مهما تباعدت بينهم البقاع أو تناءت بهم الديار . وما عرفـنـا فـي تاريخنا الإسلامي المجيد قاطباً صلدة ومشاعر متحجرة ترى ما يفعله الأعداء بإخوانهم فـي العقـيــدة من قتل

وتشريد واضطهاد وكأن الأمر لا يعنيها إلا في عصورنا المتأخرة . نعم إن جل ديـــار الإســلام تحكمها أنظمة ديكتاتورية لا تأبه بالرابطة الإسلامية ، ولا تهتم بما يجري لكثير من الـمسلمين في أنحاء العالم من ظلم وتشريد .
إن واجب أصحاب الأقلام المشاركة في التعريف بإخوانهم وفضح كل المؤامرات التي تحاك ضدهـم مـن قـبــل الحكومات الظالمة ليعرف الجميع أحوالهم وواجبهم حيالهم.. وفي ذلك فضح لأدعياء الديمـقـراطية المزعومة في العالم المتمدن وإظهار حقيقة أدعياء حقوق الإنسان ومن يزعمون نصرة المظلوم من الظالم.. صحيح أنهم ربما ينصرون بعض المظلومين لكن بشرط ألا يكون مسلماً.. لكن حـيـنـمـا يـصـب الـعذاب صباً على المسلمين ويضطهدون تحت سمع وبصر العالم كله فإن الآذان تصاب بالصمم ، والعيون تصاب بالعمى ، والألسنة والأقلام تصاب بالبكم ، أما حين يتعرض شعب أو جالية بل ربما فرد من ذوي الدماء الزرقاء أو تهان كرامته فإنهم حينئذ يعلنون الطوارئ وتستنفر الأقلام وتتحرك كل وسائل الإعلام فتقيم الدنيا ولا تقعدها حتى يقتص ممن تعرض لأولئك البيض زرق العيون شقر الشعر أما المسلمون فلا بواكي لهم لماذا؟
السبب بسيط أوضحه كاتب إسلامي متابع حيث قال :"إن الدماء الإسلامية هي أرخص الدماء حينما أهدر رخيصاً وتواطأ العالم كله على إهداره دون أن يرفع أحد في هذا العالم عقيرته بما يسمى بحقوق الإنسان.. هذا الدم الرخيص يحتاج إلى دراسة مستقلة وافية تدين حضارة هذا العصر الذي يدعي أبناؤه التقدمية والحرية العقائدية وحقوق الحيوان".
وسيكون لي معك أيها القارئ الكريم إطلالة مع واقع شعب مسلم مضطهد في (ميانمار - بورما سابقاً) في ماضيه الزاهر وواقعه ومستقبله المظلم . إن مسلمي بورما المسمين (بالروهانجيين) وقبل بيان التفصيل انبه إلى ملاحظة هامة وهي خطأ تصور الكثيرين إن معاناة شعب بورما المسلم إنما هي في (أركان) حتى جعلت قضية مسلمي أركان هي قضية مسلمي بورما قاطبة . صحيح أن (مسلمي أركان هم أكبر تجمع للمسلمين هناك) لكن توجد تجمعات أخرى كثيرة للمسلمين في كل من (ماندلي وديفيو وشان ومكاياه والعاصمة رانجون) وغيرها.. وسيكون الحديث حول هذا الموضوع ضمن العناصر التالية :
- ماضي المسلمين الزاهر ،كيف تدهور منذ الاستعمار البريطاني .
- الواقع المأساوي لهم بعد الانقلاب الشيوعي .
- المشاكل التي يعانونها من اضطهاد وسلب حقوق .
- الجهاد والدعوة التي يقوم بها المسلمون ولماذا فشلت .
- المستقبل المظلم ولماذا وكيف الحل .

الماضي الزاهر :

دخل الإسلام هذه الدولة بعد ما جاء بعض الدعاة المسلمين من الخليج وجنوب الجزيرة العربية ومن الهند وغيرها ، وأعجب أهل بورما بأخلاقيات الدعاة فدانوا بدينهم ، وعملوا في الزراعة ثم هيمنوا على التجارة وتوطنوا في كثير من البقاع ، وأكبر تجمع لهم في (أركان) . وجاء اسم (الروهانجيا) الذي ينتسب له المسلمون من اسم قديم لأركان وقد استقروا فيها قبل (الماغ) البوذيين ويمكن إثبات ذلك عن طريق العديد من الوقائع التاريخية التي تدعم هذه الحقيقة ، ومما يدل على قدم المسلمين في هذه الدولة الآثار التاريخية مثل مسجد (بدر مقام) في (أكياب) عاصمة (أركان) وكذلك (مسجد سندي خان) والذي بني منذ 560 عاماً ومسجد (الديوان موسى) الذي بني عام 1258م ومسجد (ولي خان) الذي بني في القرن 15م . وكانت أحوال المسلمين آنذاك جيدة ، وكان لهم مكانتهم ، بل أقاموا في أركان دولة إسلامية ما بين عامي 1430-1784م وكان لهم عملات نقدية تتضمن شعارات إسلامية مثل كلمة التوحيد ، إلى أن احتلت أركان من قبل الملك البوذي (بورديابا) عام 1784م وتعرض المسلمون بعدها لمذابح وطمست المعالم الإسلامية ، وأحل الطابع البوذي مكانها ، وتعرض المسلمون لمذابح متواصلة حتى جاء الاستعمار الإنجليزي.

موقف المسلمين من الاستعمار الإنجليزي :

واجه المسلمون الاستعمار الإنجليزي بعنف مما جعل بريطانيا تخشاهم ، فبدأت حملتها للتخلص من نفوذ المسلمين بإدخال الفرقة بين الديانات المختلفة في هذا البلد لتشتيت وحدتهم وإيقاع العداوة بينهم كعادتها في سياساتها المعروفة (فرق تسد) فأشعلت الحروب بين المسلمين والبوذيين ، وتمثلت تلك المؤامرات في عدة مظاهر أساءت بها بريطانيا إلى المسلمين أيما إساءة ومنها :

1- طرد المسلمين من وظائفهم وإحلال البوذيين مكانهم .
2- مصادرة أملاكهم وتوزيعها على البوذيين .
3- الزج بالمسلمين وخاصة قادتهم في المسجون أو نفيهم خارج أوطانهم .
4- تحريض البوذيين ضد المسلمين ومد البوذيين بالسلاح حتى أوقعوا بالمسلمين مذبحتهم عام 1942 حيث فتكوا بحوالي مائة ألف مسلم في أركان .
5 - إغلاق المعاهد والمدارس والمحاكم الشرعية ونسفها بالمتفجرات .

حال المسلمين بعد استقلال بورما

نالت بورما استقلالها من بريطانيا في 4 يناير عام 1948 فتفاءل المسلمون خيراً لما سيعقب الاستقلال في تصورهم من الأمن والاستقرار والمساواة بين شعوب الدولة بغض النظر عن أديانهم ، لا سيما وأن الدستور بعد الاستقلال ضمن حرية المعتقد وحق القوميات العرقية ممارسة أديانها بحرية ، لكن

(مستر يونو) أول رئيس وزراء جديد تجاهل جهاد المسلمين وقتالهم المستعمر والذي كان تحت ولاء (منظمة برمن مسلم كنجرس) بقوله أن لا مسوغ لأن يكون للمسلمين عضوية في المجالس النيابية ، وعليهم أن يعملوا داخل (حزب بورما) (AFPFL) مع التخلي عن منظمتهم آنفة الذكر .
ومع ذلك عاش المسلمون هنا عيشة جيدة حيث اشتهروا بالتجارة ، وبنوا ما يربو على 3000 مسجد ومدرسة ، بل ساعدوا مساجد ومدارس المسلمين في القارة الهندية ، وكان في آخر حكومة وطنية قبل الانقلاب الشيوعي 3 وزراء مسلمين منهم (السيد عبد الرزاق) الذي كان له أثره الذي لم يكن لأي وزير مسلم .

قانونا الجنسية في بورما :

سنت الحكومة البورمية عام 1948 قانونين كانا يكفلان الجنسية للمسلمين هناك ، وبعد سنوات أشاعت الحكومة أن في القانونين مآخذ وثغرات وقدمت في 4 يوليو 1981 مسودة القانون الجديد الذي ضيق على المسلمين وصدر عام 1982 وهو يقسم المواطنين كما يلي :
1- مواطنون من الدرجة الأولى وهم (الكارينون والشائيون والباهييون والصينيون والكامينيون) .
2- مواطنون من الدرجة الثانية : وهم خليط من أجناس الدرجة الأولى .
3- مواطنون من الدرجة الثالثة : وهم المسلمون حيث صنفوا على أنهم أجانب دخلوا بورما لاجئين أثناء الاستعمار البريطاني حسب مزاعم الحكومة فسحبت جنسيات المسلمين وصاروا بلا هوية وحرموا من كل الأعمال وصار بإمكان الحكومة ترحيلهم متى شاءت .
ثم اقترحت الحكومة البورمية أربعة أنواع من الجنسية هي :
1- الرعوي .
2- المواطن .
3- المتجنس .
4- عديم الجنسية .
وللفئتين الأولى والثانية التمتع بالحقوق المتساوية في الشؤون السياسية والاقتصادية وإدارة شؤون الدولة .
أما الفئة الثالثة : فالجنسية إنما تؤخذ بطلب يقدم للحكومة وهو بشروط تعجيزية ، والفئة الأخيرة (عديم الجنسية) فيحتجز في السجن لمدة ثم تحدد إقامته في (معسكرات الاعتقال) ويفرض عليهم العمل في الإنتاج فإذا أحسنوا العمل يسمح لهم بشهادة تسجيل الأجانب على أن يعيشوا في منطقة محددة .
وبهذا القانون طاردوا المسلمين وأصبحوا كاليتامى على مائدة اللئام مما عرضهم للاضطهاد والقتل والتشريد.

الواقع المؤلم بعد الانقلاب الشيوعي :
وفي عام 1962 م حدث الانقلاب الشيوعي بقيادة الجنرال (تي ون) والذي أعلن بورما (دولة اشتراكية) وذكر علناً بأن الإسلام هو العدو الأول ، وترتب على ذلك حملة ظالمة على المسلمين وتأميم أملاكهم وعقاراتهم بنسبة 90% في أراكان وحدها بينما لم يؤمم للبوذيين سوى 10% وسحبت العملة النقدية من التداول مما أضر بالتجار المسلمين كثيراً حيث لم يعوضوا من قبل الدولة ثم فرضوا الثقافة البوذية والزواج من البوذيات وعدم لبس الحجاب للبنات المسلمات والتسمي بأسماء بوذية ، وأمام هذا الاضطهاد المرير ارتد بعض المسلمين ليتمتع بحقوق المواطنة الرسمية بعيداً عن الاضطهاد والتنكيل واضطر الكثيرون للهجرة القسرية من ديارهم وأملاكهم إلى دول العالم الإسلامي وبخاصة (بنجلادش) بعد حملات عسكرية إجرامية على أراضيهم وأماكنهم .

المشاكل التي يواجهها المسلمون هناك :
بالإضافة إلى ما سبق بيانه من إيذاء وقتل وتشريد ، يعاني المسلمون الكثير من المضايقات التي تتمثل فيما يلي :
1- تأميم الأوقاف .
2- تأميم الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية .
3- منع طباعة أي كتاب إسلامي ، وسمح مؤخراً بذلك في حدود ضيقة .
4-إيقاف بناء المساجد .
5- منع الأذان للصلاة بعد رمضان 1403 هـ .
6- حجز جوازات المسلمين لدى الحكومة وعدم السماح لهم بالسفر للخارج إلا بإذن رسمي .
7- رفض تعيين المسلمين في الوظائف الرسمية .
8- تأميم المساجد الخاصة بالعيد .

ماذا فعل المسلمون حيال إخوانهم في بورما :
قامت حركة نشطة من سلاح الشجب من بعض الحكومات الإسلامية ومما يذكر فيشكر قيام بعض الجماعات والحركات والمنظمات الإسلامية بنجدة إخوانهم المهاجرين إلى بنجلادش (السعودية والكويت وباكستان وغيرها) .
ومما يستحق التقدير الموقف الطيب من قبل الحكومات المتوالية في بنجلادش حيال إيواء المسلمين البورميين النازحين إليها وإقامتها الخيمات وتقديم ما تستطيعه من غذاء وكساء وخدمات وقامت بعقد اتفاقية مع الحكومة عام 1983 من أجل عودة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم في بورما ، ووضعت خطة لذلك وفعلاً عاد بعضهم لكنهم وجدوا ديارهم وأملاكهم منهوبة من البوذيين ولما اشترك المسلمون هناك في ترشيح ممثلي (المعارضة الديمقراطية) والتي فازت بانتخابات عام 1990 عادت الحكومة الشيوعية

البوذية إلى عادتها القديمة في اضطهادهم وشن الهجمات عليهم فيما قامت بعض الجماعات المسلمة بالدفاع عن أراضيها وأموالها وأعراضها وأعادت تلك الحكومة الوضع المأساوي السابق مما ساهم في هجرة الألوف المؤلفة مرة أخرى إلى بنجلادش .

الجهاد والدعوة لدى مسلمي بورما :

ظهرت العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية الكثيرة ومنها :

1- منظمة التضامن الروهنجي الإسلامية (أركان) .
2- منظمة التحرير الإسلامية لولاية الكاريني .
3- منظمة الفرقة السابعة .
4- منظمة الفرقة الجنوبية .
5- حركة الشباب المسلم (رانجون) .
6- رابطة الطلاب المسلمين .
7- جمعية العلماء الروهانجيين .
8- جمعية علماء الإسلام .
9- جمعية مسلمي بورما .
10- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

وجل هذه الفصائل تعمل على تدعيم صف المسلمين هناك من أجل المحافظة على حقوقهم وحريتهم والاحتفاظ بهويتهم الإسلامية وتحصينهم ضد حملات التنصير وتهتم أغلب تلك الجمعيات بالتعليم بفتح مدارس إسلامية وحلقات لحفظ القرآن وإرسال الدعاة إلى القرى والأرياف لمجابهة المنصرين وتقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين .

وحركة الجهاد في وضع خامد فليس هناك جهاد بالسلاح مع أن ظروف البلاد الجبلية تحتم ذلك دفاعاً عن الأعراض والأملاك وصد هجمات الحكومة الشيوعية بدون وجه حق.

ويرى أحد الباحثين أن سبب عدم نجاح تلك الجماعات في تحركاتها يعود لما يلي :

1- توزيع المسلمين في بورما في بقاع معينة منها شمال (أركان) ونسبتهم 30% وكانت نسبتهم قبل الحرب العالمية الثانية 70% تقريباً مما أضعف تحركات المسلمين وخصوصاً المنظمات والجمعيات .
2- لا يوجد اتفاق ولا إجماع بين المسلمين للقيام بالحركات التحريرية . وكثرة هذه الحركات والجمعيات لا مبرر له لأن بعضها فعلاً نشأ لأغراض شخصية .
3- أغلب المسلمين الروهانجيين غير راضين عن هذه الجمعيات لعدم ثقتهم بها .
4- أغلبهم غير معروف لدى مسلمي بورما .

المستقبل المظلم :

بالرغم من مواجهة المسلمين لنير الاضطهاد البوذي قبل الاستقلال ثم نير الاضطهاد الشيوعي بعد ذلك وما عانوه من أذى وقتل وتهجير إلا أن أحداً في العالم لا يسمع بما يعانونه من مشاكل فادحة ولم يستيقظ ضمير الغرب بعامة وأمريكا بخاصة إلا بعد إلغاء الانتخابات الأخيرة وفرض الإقامة الجبرية على زعيمة المعارضة (اولج سان سوكي) حينها فقط وبعد أكثر من أربعين سنة انتبهوا لإجرام الحكومة البورمية ثم بعد المواجهة العسكرية بين وحدات من بنجلادش وبورما على الحدود بعد أن قامت بنجلادش بحملة دبلوماسية للتعريف بما تعانيه من مشاكل إيواء المسلمين البورميين النازحين ، ومما يؤسف له أننا لم نسمع حتى الشجب من كثير من الدول الإسلامية إلا بعد أن أدلى الناطق الرسمي باسم الوزارة الخارجية الأمريكية مستنكراً عمليات القتل التي ترتكبها أي جهة في بورما ، واستنكر ما يتعرض له دعاة الديمقراطية من مضايقات وكذلك ما تعرض له المسلمون من تهجير إلى بنجلادش .

سمعنا أيضاً (جمشيد أنو) أحد مديري المفوضية العليا التابعة هيئة الأمم المتحدة حين وصف مأساة المسلمين البورميين بأنها إحدى أكبر مشكلات اللاجئين في العالم .

وتكلم (بطرس غالي) سكرتير هيئة الأمم المتحدة بشجب الوضع المأساوي الذى قامت به حكومة بورما ضد المسلمين على حدود بنجلادش . لكن لماذا لم يرسل سكرتير هيئة الأمم مندوباً عنه ، أو ممثلاً ليقف على الوضع المأساوي ، ثم يعقد مجلس الأمن لمعاقبة الحكومة البورمية على ما فعلته من جرائم لا إنسانية في حق المسلمين بدون وجه حق ؟ ولماذا لا يرسل هؤلاء المندوبون إلا للجهات الخاصة مثل يوغسلافيا وأرمينيا مثلاً ؟! ولماذا لا تقاطع حكومة بورما من قبل الدول الكبرى حتى تذعن للحق وتكف جورها وإجرامها بحق المسلمين هناك .

إن مستقبل الإسلام والمسلمين هناك مع الأسف مظلم ما لم توقف بورما عند حدها . ومما يؤسف له أكثر أن تظل الدول الإسلامية صامتة حيال ما يجري لإخوانهم ولا تستدعي على الأقل سفراء بورما ولا تقدم الاحتجاجات ضدها وتهدد بالمقاطعة إن لم تكف عن اضطهادها للمسلمين .

وإن الواجب أن تمد الدول الإسلامية يد العون لبنجلادش التي تنوء تحت ثقل المشاكل الاقتصادية والفيضانات وضعف الاقتصاد وهي في أمس الحاجة ، لذلك يجب أن تقف الدول الإسلامية وقفة شجاعة للضغط على حكومة بورما أو مقاطعتها وحينها سيحسب للمسلمين ألف حساب . فهل نسمع عن تشكيل لجان لدعم مسلمي بورما على طول البلاد الإسلامية وعرضها في وقت لا يفيد فيه الشجب والتنديد بالكلام فقط ؟!.

البوسنة - الهرسك
محاولات الإفناء والتهجير

تصدرت أحداث البوسنة-الهرسـك واجـهـة الأخـبـار العـالمية ، وذلك لما يتعرض له هذا الإقليم ذو الغالبية المسلمة من مذابح وحشية من قبل جنود ومـلـيـشـيات الصرب ، ووقوع هذه المذابح في القارة الأوربية وفي منطقة عرفت بأنها بؤرة للصراع والخلافات .

نظرة تاريخية :

يبلغ عدد سكان جمهورية البوسنة حوالي 4850000 تقدر نسبه المسلمين بأكثر من 44% وكانت هذه الجمهورية جزءاً من يوغسلافيا التي انفرط عقدها على أثر الأحداث المهمة في أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي ، وبسبب التركيبة غير المتجانسة للـسـكان ، وقد كان هذا الإقليم خاضعاً للمجريين عندما تم فتحه من قبل العثمانيين عام 1386م وأصـبـحــت البوسـنـة مقـاطـعتة كامـلـة الانتماء عام 1463 م وذلك بعد معارك طاحنة استقر الإسلام بعدها، بل أصبحت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين المعقل الرئيسي للعثمانيين في صراعهم مع أوربا الغربية وبعد أن ضعفت الدولة العثمانية كان من مقررات مؤتمر برلين عام 1877 م أن عـهــد بالبوسنة إلى الحكم في النمسا ، ثم ضمت إلى مملكة الصرب في عام 1918 م وبعد الـحــــرب العالـمية الثانية وفي عام 1946 أصبحت إحدى جمهوريات يوغسلافيا .

بدء الصراع :

عندما أعلنت منطقة البوسنة - الهرسك بأغلبية سكانها أنها دولة مستقلة وانفصلت عن يوغسلافيا بدأ الجيش الفدرالي وحكومة صربيا وميلشيات الصرب بمهاجمة المسلمين في البوسنة والقصد هو تشريد المسلمين وضم ما يحتلونه إلى صربيا الكبرى كما يحلمون ، كما أن قتالهم لسكان البوسنة جزء من إضعاف المسلمين في القارة الأوربية ، وهذا ما كان يوحي به الصرب إلى الغرب الأوربي حتى لا يقف في وجهه ولكن وحشية الصرب جعلت الغربيين يضطرون للوقوف في وجههم .

استخدم الصرب في سبيل أهدافهم أحط أنواع الجرائم فلم يسلم منهم النساء والأطفال والمساجد والمستشفيات بل والقبور وكل يوم تطالعنا الصحف وسمعنا من رئيس المجلس الإسلامي في البوسنة أخبار المذابح الجماعية للقرى المسلمة ، وهذه لقطات من أخبار هذا الصراع بين الإسلام وأعدائه .

- يقول الضابط محمد حافظيتش : "في مدن مثل براتونستا سقط ثلاثة آلاف قتيل ، وقد قامت القوات الصربية بإطلاق المرضى النفسيين (المجانين) من مستشفى (الوكش) في مدينة درنبتا" الوسط 1/6/92 .
- قصفت مدينة سارابيفو بتاريخ 16/6/92 قصفاً كان الأبشع منذ بدء القتال ، عشرات الأشخاص قتلوا أو جرحوا ، عشرات الأبنية تخترق ، وقصفت المستشفيات ، الحياة 8/6/92 .
- منذ بدء القتال قدر عدد الضحايا بـ 6000 قتيل و 21 ألف جريح ، كما نزح من السكان 650000 وقد تم تدمير أقدم مسجد في المدينة الذي يعود بناؤه إلى عام 1462م (الحياة 8/ 6/92) .
هذه الأخبار تؤكد لنا أن القضية هي قضية اقتلاع المسلمين من جذورهم ، لماذا لم يفعل الصرب بالكرواتيين كما يفعلون الآن بالمسلمين ؟ لماذا هبت دول الغرب (وخاصة المانيا) لمساعده كرواتيا ، ثم هل ستنتهي القصة عند البوسنة - الهرسك ، أم أن إقليم كوسوفو الإسلامي وغالبية سكانه من الألبان ، هل سيكون المحطة الثانية عند الصرب ؟ إن ما نعلمه من شدة بأس مسلمي تلكِ الديار يجعلنا نقول لن يستطيع الصرب - بإذن الله - ولا من يؤيدهم سراً القضاء على المسلمين في تلك المناطق ولا على النهضة الإسلامية القادمة ، وإننا نشكر كل من ساعد ويساعد هؤلاء الذين يتعرضون للإبادة كما ندعو المسلمين إلى مزيد من التأييد لمسلمي البوسنة ، فإنهم في بلاء عظيم ، من حرب صليبية مكشوفة .

حركة الجهاد
نبع أصيل وركن ركين ولكن !!

عبد الله صالح علي

المتتبع للساحة الإرترية يرى العـجب العجاب ، وتتملكه الدهشة وذلك لما يشاهد فيها من المتناقضات والجمع بين المستحيلات فـيـمـن يمسك بزمام الأمور في الثورة الإرترية منذ أن تمحورت وصيغت بالصيغة السياسية ، وتحـولــت عن صورتها المبسطة التي كانت تتمثل في:شعب سلب حقه الغاصبون ، وقام لاسترجاعه بكل ما يملك من سعة ومقدرة . وبعد أن تم تسييس الثورة ، وتسربت إليها أيد خارجية اختلط الحابل بالنابل ، وزاد الخرق على الواقع إلى أن وصل الأمر في تحكم زمرة من أبناء الـنـصـارى الـحـاقـديـن وقـلـيـل من أبناء المسلمين المخدوعين بشعارات جوفاء إلى سدة الحكم .
وعندها جاءت قاصمة الظهر بالنسبة للشعب الإرتري المسلم الذي غلب على أمره وذلك أنه كلما لاح له برقٌ حسبه ضوءاً وهرول نحوه مسرعاً ثم يجد

آماله تذهب أدراج الرياح إلى أن نـبـع الـنـبـع الأصـيـل والـركــن الركين بعد الله تعالى في إرتريا متمثلاً في حركة الجهاد الإسلامي لتعبر عن رغبات الشعب الإرتري الأصيلة ولتكسر الحاجز بين الشعب المسلم في إرتريا . ومن خلال المتابعة ورصد الأحداث لا بد من التذكير بأمور تتعلق :
أولاً : بالشعب الإرتري المسلم نفسه .
ثانياً : بحركة الجهاد الإسلامي الإرتري .
فيما يتعلق بالشعب الإرتري المسلم ينبغي عليه أن يدرك كيف تسير الأحداث وإلي أين تسير ؟ وأخص من الشعب المتعلمين والمثقفين الإرتريين ، أن يخلعوا عنهم لباس اللامبالاة ويضطلعوا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم مهما كانت التضحيات جسيمة وكبيرة والذي يدعو إلى ذلك عده أمور منها :
1- إن الصراع الإرتري يختلف عن غيره من الصراعات في عالمنا الإسلامي ، فهو صراع حضاري قيمي ، وليس صراع أرض فقط وتقف خلفه كل قوى التبشير والتنصير العالمية وذلك لأهمية المنطقة وحساسيتها .
2- إن الذي أعطى القضية الإرترية كل هذا البعد السياسي هم المسلمون فكيف بهم اليوم لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم ؟!
3- إن سياسة "فرق تسد" التي تتبعها "الشعبية" في إرتريا وسحب البساط من تحت أقدام بقية التنظيمات الإرترية أمر غريب ويدعو إلى التساؤل والاستفسار .
4- لا مبرر لتهميش دور أبناء المسلمين الموجودين داخل الشعبية وليس له أي تفسير آخر غير أن الشعبية تريد من أبناء المسلمين أن يكونوا مستخدمين عندها لتتخذهم أداة لتضرب بهم إخوانهم من أبناء المسلمين المعارضين للجبهة الشعبية مهما كانت توجهاتهم ، وإلا فلماذا لا يوضع أبناء المسلمين في الأماكن الحيوية والحساسة من التنظيم (مثل الاقتصاد ، الإعلام..) ؟! وحتى الذي يوجد ضمن بعض المكاتب المتخصصة ما هو إلا دمية يحركها أحد أبناء النصارى سواء كان نائباً أم مسؤولاً عنه .
5- ما هو الدافع الحقيقي من وضع برنامج التعليم للشعبية على أساس اللهجات الإرترية وإبعاد اللغة الرسمية للمسلمين من شؤون الحياة الرسمية والتعليم ، فالنصارى في إرتريا لهجتهم واحدة وكون الشعبية تضع برنامجها التعليمي بهذه الصورة يعني أنهم متحدون ولكن إذا نظرنا للمسلمين في إرتريا نجدهم يتحدثون بلغات كثيرة ومتفرقة فما الذي يجمع بينهم إذا فرقت اللغة واتخذ كل لهجة خاصة به ؟! النتيجة معروفة وهي تمزيق المسلمين وتشتيت وحدتهم وبث النعرات القبلية بينهم ومما هو معلوم بأن اللغة تتأثر بالنظام السائد في أي بلد فالذين يحكمون شؤون الدولة هم الذين يفرضون لغتهم وثقافتهم على المحكومين .

6- لهذا يجب على الإرتريين أن يكونوا يداً واحدة لتفويت الفرصة على المتربصين بالمسلمين الدوائر في إرتريا ، ويتحملوا وعورة الطريق ويقفوا خلف حركة الجهاد ويكونوا لها الساعد الأيمن لأنها أمل المسلمين الوحيد - بعد الله - في إرتريا حتى لا نقول : أكلت يوم أكل الثور الأبيض أو الأسود ، ولات ساعة ندم .
أما فيما يتعلق بالحركة فالأمور كثيرة جداً ويمكن إيجازها بما يلي :
1- أن تتمسك بالمبادئ والمنهج الذي رفعته منذ أول وهله والذي من أجله استشهد الشهداء وأن لا تحيد عنه قيد أنملة وذلك بالأفعال لا بالأقوال .
2- أن تعلم تماماً بأن النصر على الأعداء والتمكين في الأرض ليس من مهماتها هي ، فالإعداد شرط والتمكين وعد من الله تعالى ، فقد يحاول العاملون في الدعوة الإسلامية تعجل قطف الثمار فيرتكبوا بعض الأخطاء على حساب المنهج وعنده يتخلف النصر .
3- نريد من الحركة أن تكون مثلاً للثبات أمام كل الأعاصير والرياح والتقلبات السياسية.
4- علِّموا العالم أجمع بأن المبادئ لا تشترى ولا تباع ولا يساوم عليها مهما ادلهم الخطب .
5- في الشعب الإرتري من يراقب الحركة مراقباً متصيداً للأخطاء وكذلك فيهم من يريد التأكد من صدق التوجه والنوايا والأخير هو الغالب فينبغي أن يحسب لهذا حسابه .
6- أن يدركوا جيداً بأن هناك فرقاً بين المطلوب الشرعي والمقدور الشرعي ، فليس كل مطلوب هو مقدر شرعاً وعليهم فقط الاستمساك بالتي هي أقوم مهما طال الدرب .
7- أن لا تستهويهم عاطفة الجماهير العامة فيصنعوا قراراتهم وفق حماسهم فقد قيل : قلوب العامة مع الحق وسيوفهم مع الباطل" .
8- أن يأخذوا بالعزائم في كل أمورهم فهم يعيشون في زمن كله أخذ بالرخص وأي حركة تغييرية تجديدية تأخذ بالرخص مصيرها الفشل في النهاية .
9- إن الساحة الإسلامية مليئة بالأحداث والمشاهد المتكررة فينبغي أن يستفاد منها فائدة تامة .
10- السعي نحو تجييش الأمة على كافة الأصعدة والميادين ، وعدم الاقتصار على ميدان دون آخر . وأخيراً فإن المسؤولية عظيمة وجسيمة ، وما على العاملين في الحقل الإسلامي إلا السير على درب النبوة ، فمن الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ولا يعني ذلك فشل هذا النبي ، حاشا لله . فلذلك ينبغي السير وأن لا يتعجل العاملون النصر قبل استكمال شروطه ، وإن المسؤولية تقع بالدرجة الثانية بعد الإرتريين على عاتق المسلمين ، على العالم الإسلامي أجمع ؛ فعليهم القيام بالواجب الشرعي تجاه إخوانهم في

منتدى القراء

البناء العَلْماني وبداية السقوط

سعد بن عبد المجيد الغامدي

يتشكل البناء العَلْماني في البدء.. من أبـنـيـة عدة ترتبط فيما بينها بعلائق بنائية ، وتشكل كل ذي فكر لا ديني كالماركسي الهالك أو الرأسمـالـي الـمتهالك ، والحداثي الماسوني وما بعده من ضروب الفكر الفوضوي الآخذ في التداعي البطيء نـحــو حتمية النهاية المُريعة ، نهاية كل فكر زائف مزيف .

ويـلــوح ذلك البناء بأفكاره وطروحاته وأنظمته ، لصاحب العقل المُستعْمَر - بتسكين العين وفتح الـمـيـم - والـنـفـس الانهزامية ، يلوح بناءً متماسكاً ، وهاجساً حضارياً يبعث على التوثب والانعتاق .

وهــو لـذي عـقل رباني متحرر من علائق التبعية لكل فكر لا إسلامي دنيوي ، بناءٌ مادي موضوي - نسبة إلى الموضة - يتبدل تبدل الموضة وعروض الأزياء المرهونة بطقوس الفصول الأربعة وجلبة القـطـعان الُمغرمة ببريق المظهرية الجوفاء . ويتبدى له أيضاً ، عبر خطابه الفوسفوري ، بناءً مشعاً.. بيد أن شعاعه زائف سرعان ما ينطفئ لأنه يستمد لمعته من شعاع الآخرين !

وهو بناء يحمل في تجـويفـاته وأحشائه بذور التداعي والسقوط المتمثلة في "الجهل بحقيقة الألوهية واتباع غير ما أنـزل الله" ، واسـتعـباد البشر والجناية على أدمغتهم.. يأخذ هذا البناء في النمو وتنمو في ذات الوقت تلك الـبــذور ، وتتجذر عروقها ، وتمتد أغصانها في ثنايا البناء وتحل به لاحقاً سنّةّ الهلاك ، ويسـقــط سـقــوطـاً مدوياً.. ولنا في سقوط البناء الشيوعي - مُحَطِّم الإرادات ومعطِّل العقول ، وهو أحد منظومــات البناء العلماني - خير بشير ونذير .

وتـبـاعــاً.. فإن ثوابت هذا البناء الوضعي الجاهلي اللافطري ثوابت هزيلة ترتعد فرائصه وتتهاوى لـبـنـاتــه أمام ثوابت البناء الإسلامي الرباني الخالد ، رغم الحصار الإبليسي المضروب حوله !

والـخـطـوة الأولى نحو تقزيم البناء العلماني على طريق الصراع الحضاري تكمن في تكثيف الخطاب الإسـلامـــي الخالد وتوسيع دائرته ليشمل نواحي الحياة كلها ، وذلك في ظل غياب الخطاب الشيوعي الماركسي . ثم تـعـرية الخطاب العلماني وكشف زيفه وتناقضاته الفجة مع أبجديات الـحـريــة وألـف

بــاء الحياة الكريـمـة التي تحفظ للإنسان إنسانيته وإرادته المستقلة . وهذا منهج - شريطة الاسـتـمـراريــة - قمين بأن يُعيد للبناء العلماني مكانته الطبيعية كما لا بد أن يكون قابعاً في مزابل التاريخ وأزقة الحضارة .
ويعود البناء الإسلامي الخالد ، عبر عقيدة التوحيد وثورة فـكـرية ربانية تملآن الفراغات وتحلاّن بديلاً عن منظومات المنطق المادي الكسيح ، يعود كما كـان وكـمـا لا بـدّ أن يكون شامخاً في سماء الحضارة ، ومناراً للأمم ، وصانعاً للتاريخ ، مصداقاً لقول الـحـق خــالـق الخلق ((والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) .
أجل ! تلك سنة الله التي خلت في الأولين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، والحمد لله رب العالمين .

»بين الانضباط والسلبية«

عبد الله العنزي

يعاني كثير من المنخرطين فـي سـلــك الدعــوة إلى الله أزمة حقيقية في تحديد المصطلحات الدعوية وماذا يراد منها ؟ فأنت تـرى ذلـك الشـاب المتحمس للدعوة يستمع إلى توجيهات من داعية كبير حول الانضباط ومضار الفوضى ، تراه يـسـتـمــع إلى تلك التوجيهات وهو مستعد لتطبيقها فوراً في نفسه وفي دعوته ، إلا أنه يواجه إشكالية كبرى في تحديد ما يراد من مصطلح الانضباط ، وقل مثل ذلك في باقي المصطلحات .
وحـتـى أكــون دقـيـقــاً أكـثــر فإني لن أتحدث سوى عن جزئية مهمة في تحديد مصطلح الانضباط ألا وهي الخلط الظاهــــر بين هذا المصطلح ومفهوم السلبية ، تاركاً باقي جزئيات هذا الموضوع لمشايخنا حفظهم الله .
فأقول إن كثيراً من الدعاة يفهمون أن معنى الانضباط هو ترك الانتقاد وبيان الحق ، وأتى هــذا الفهم الخاطئ من رؤيتهم لواقع بعض الفوضويين الذين يتميزون بكثرة الانتقاد حتى لم يـسـلـم أحــــد من نقدهم وحيث أن نقيض الفوضى الانضباط فقد فهم أولئك الدعاة بأن معنى الانضباط مخالـفـة كل ما عليه أولئك الفوضويون وأبرز ما عندهم النقد .
وغـنـي عـن الـقـول أن هـذا فـهـم خاطئ فإن معنى الانضباط على تفسير أولئك الدعاة هو السلبية، وهي داء يصيب أي عـمـل، بل يجب أن يشارك الجميع بعقولهم قبل أعمالهم، وليس العمل الإسلامي بحاجة إلى آلات تنفذ ما يلقى إليها دون نقد أو تمحيص .
إن الـنـقـد لا بـد أن يـكـون ضـمـن الـقـواعـد التي شرعها الشرع الحنيف وأوضحها علماء الشريعة ، فإن الداعية المنتقد إن لم يفعل ذلك وقع فيما وقع فيه أولئك الفوضويون .

أيها الدعاة نحتاج لتذكيركم..

مريم السالم

تبقى صور البذل والعـطـاء للمـرأة المسلمة مشرقة منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى يومنا هذا ، ومن فينا ينسى ذلــك الـموقف الرائع لأم المؤمنين عائشة بنت الصديق -رضي الله عنهما- حين أتتها خادمة لهــا بمائــة ألف ففرقتها في يوم واحد وكانت صائمة في ذلك اليوم ، فقالت لها الخادمة : أما استـطـعــت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه ، فقالت : لو كنت ذكرتني لفعلت (1) .
ومَنْ يتجاهل جُود النساء بُحليّهن حين بعثن به يعن به المسلمين في جهازهم يوم العسرة . ولا زالت صــور الـمـرأة للإنـفــاق في سبيل الله ناصعة مشرقة يشهد لها لذلك ما تستقبله المعارض والأسواق والمؤسسات الخـيــرية اليوم من بذلهن وعطائهن ، خاصة إذا عرفنا أن المرأة ذات عاطفة قوية تدفعها للبذل والعطاء ، وتجعلها أكثر إحساساً بغيرها من الضعفاء والمعوزين ، لكنها فقط تحتاج لتذكير ، تحتاج المرأة في هذا العصر إلى من يقف بين حين وآخر ليحدثها ويرغبها في الخير والعطاء،وتحتاج لمن يحكي لها أحوال أخواتها المسلمات المحتاجات ويذكرها بواجبها تجاهن ، وكلما ازداد تأكيد ذلك بالصوت والصورة ازدادت بذلاً وعطاء . ومسألة التذكير هذه تحتاج هـي الأخــرى لـمـن يؤكد عليها وينبه لها ، لقد أغفل الدعاة أمر التذكير - إلا من رحم الله - ونسوا أننا فـي زمـــن ضعفت فيه القلوب ، وطغت عليها جوانب الحياة المادية ، وتعلقت بالدنيا الفانية وأشربت حبها .
وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقف بنفسه ليعظ النساء ويذكرهن ، ويحثهن على الصدقة ويخصصهن بذلك في مجلس منفرد ، قائلاً : "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار.."(2)مع أنه في زمن هو خير القرون ، ونساؤه أفضل النساء وأتقاهن والقلوب هناك معلقة بالآخرة . فما أشدَّ حاجتنا لمذكرين ناصحين في زمن قل فيه المذكرون المخلصون وكثرت فيه الفتن ، وسايرت أحوال المسلمين وخارت قواهم وصاروا مستضعفين ، ونجحت فيه مخططات الأعداء لإفساد المرأة المسلمة وإشغالها عن قضايا أمتها - ولا حول ولا قوة إلا بالله .
إن على الـدعــاة وأهـل الـخير وأصحاب المؤسسات الإسلامية الإغاثية والدعوية أن تسعى جميعاً لإيصال الصورة الـصــادقــة لأحوال المسلمين وجراحاتهم في العالم الإسلامي والتي يكاد كثير من نسائنا لا يعرفـن عـنها شـيئاً ، وعليهم أن يستخدموا في ذلك وسائل العرض المؤثرة لإيقاظ النفوس الغافلة وحفز الـهـمـم الـفـاتـــرة لرفع الذل والمهانة عن المستضعفين المضطهدين من أبناء المسلمين، وإن استجابة الناس واستماعهم لداعي الخير كما هو مشاهد لـيـعـطـينا وثيقة صادقة بتقصيرنا في حق إسلامنا وفي العمل

لديننا ، فإلى متى يبقى العمل الإسلامي محتاجاً لقلوب أبنائه الحانية وإلى عروقهم النابضة بالعطاء ، وسواعدهم القائمة بالبناء ، وأرواحهم المقدمة له فداء ؟!

الهوامش :

1- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر 4/350 .

2- رواه مسلم 11/86 .

عندما يتحول الاختلاف من تنوع إلى تضاد !!

سعد آل عبد اللطيف

كما أن العبادات تتعدد وتتنوع مـا بين صيام وصدقة وصلاة - وهذا من رحمة الله وحكمته - كذلك أيضاً تتعدد أساليب الدعــوة ومـجــالاتـهـا وتـتـنـوع ما بين وعظ وخطابة ، وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأليف وتصنيف وتربية وأعـمــال خيرية وإغاثة... ألخ .

وهذا التعدد في الدعوة والعمل والإسلامي ينصب في قناة "اخـتــلاف الـتـنوع" حيث يعمل الجميع على محاولة سد حاجات المجتمع وتصحيح مساره بشتى الأسالـيـب وعبر جميع الوسائل والطرق في سبيل نهوض الأمة الإسلامية وإيقاظها من رقدتها وسباتها العميق . ولكن تحول هذا الاختلاف - عند البعض - من تنوع إلى تضاد وربما تعارض وصدام ! حينما يتوقع البعض في مجاله الدعوي ويضخمه ويرى أن الدعوة الإسلامية مـنـحـصرة في هذا المجال فقط وأن غير هذا المجال لا يستحق الكثير من الاهتمام وبذل الجهد والوقت . وهذا غالباً يؤدي إلى ردة فعل من أصحاب المجالات الدعوية الأخرى وينجم عنه تعصب كـل واحـد لمجاله الدعوى الذي يعمل في ظله ويتقوقع حوله دون غيره ويؤدي هذا إلـى ظهور الـتـحــزب والتفرق ويصاحب ذلك شعور العداء والبغضاء بينهم رغم أنهم يستظلون تحت راية الدعوة الإسلامية ومنهج أهل السنة والجماعة . وهذا داءٌ قديم أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمـيـة -رحـمــه الله- فقال : "..والسلف كان كل منهم يقرأ ويصلي ويدعو ويذكر على وجه مشروع وأخــذ ذلـك الـوجـه عنه أصحابه وأهل بقعته ، وقد تكون تلك الوجوه سواء ، وقد يكون بعضها أفضل ، فـجــاء فـي الخلف من يريد أن يجعل اختياره لفضله ، فجاء الآخر فعارضه في ذلك ونشأ من ذلك أهواء مردية مضلة ، فقد يكون النوعان ســواء عـنــد الله ورسـوله فترى كل طائفة طريقها أفضل، وتحب من يوافقها على ذلك، وتعرض عمن يفعل ذلك الآخر ، فيفضلون ما سوى الله يبنه ، ويسوون ما فضل الله بينه ، وهذا باب من أبواب التفرق والاختلاف الذي دخل على الأمة، وقـد نـهـى عنه

الكتاب والسنة وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عين هذا الاختلاف فـي الـحـديث الصحيح - كما قررت مثل ذلك في "الصراط المستقيم - حيث قال: "اقرأوا كما علمتم..."(1) .
بعد ذلك نسأل أنفسنا عن العلاج أو كيفية القفز فوق تلك الهوة التي هي من صنع أيدينا ؟! نرجع لابن تيمية وهو يصف العلاج بعد تشخيصه الداء قائلاً :
"والصواب أن يقال : التنوع في ذلك متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن هذا اتباعاً للسنة والجماعة ، وإحياء لسنة وجمعها بين قلوب الأمة ، وأخذا بما في كل واحد من الخاصة أفضل من المداومة على نوع معين ، لم يداوم عليه النبي لوجوه.." ، ثم ذكر تلك الوجوه منها على سبيل ما يهمنا في هذه السطور قوله : "أن ذلك - أي التنوع وعدم المداومة على نوع واحد من العبادات - -يوجب اجتماع القلوب وائتلافها وزوال كثير من التفرق والاختلاف والأهواء بينها.."(2) .
أما تلميذه ابن القيم -رحمه الله- فقد ذكر أصناف الناس ومذاهبهم في أى العبادة أفضل وأنفع ؟ فذكر الصنف الرابع قائلاً : ".. والصنف الرابع قالوا : إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل العبادات في وقت الجهاد ، الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاه الليل وصلاة النهار بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن .." ، ثم قال : "..وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق والأصناف من قبلهم أهل التعبد المقيد.."(3) .
ولكن قد يقال أن هذا في العبادات ويصعب تطبيقه في مجالات الدعوة والعمل الإسلامي ولا سيما ونحن في عصر التخصص .
في هذه الحالة لا مانع من التخصص في أحد مجالات الدعوة مع مراعاة قضيه الإتيان بالواجب العيني مع التخصص ، فلا بد مثلاً من الإتيان بالواجب من العلم والواجب من الزهد وهكذا . يقول ابن تيمية -رحمه الله- : ".. وأما قوله : ما الأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل على ترتيبها ؟ هل يبدأ بالزهد ؟ أو العلم ؟ أو بالعبادة ؟ أم يجمع بين ذلك على حساب طاقته ؟ فيقال له لا بد من الإيمان الواجب والعبادة الواجبة والزهد الواجب ثم الناس يتفاضلون في الإيمان : كتفاضلهم في شعبه وكل إنسان يطب ما يمكنه طلبه ويقدم ما يقدر على تقديمه من الفاضل والناس يتفاضلون في هذا الباب فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه ، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير كما قال تعالى : ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ..)) وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر ، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له ، وهو في حقه أفضل ولا يطلب ما هو

أفضل مطلقاً ، إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع"(4) .
ويحكى أن العمري العابد كتب إلى الإمام المالك يحضه على الانفراد ويرغبه عن الاجتماع إليه في العلم ، فكتب إليه مالك : إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام وآخر في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة ، ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح الله -عز وجل- فيه من ذلك ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر ، ويجب على كل منا أن يرضى بما قسم له والسلام .
ولا بد من الحذر من التقليد والتبعية وزج النفس في مجالات ليست من أهلها كمن يزج نفسه في تأليف الكتب والرسائل والكتيبات الصغيرة ، أو في التحقيق أو في نحو ذلك فلا بد من مراعاة القدرات الشخصية ومراعاة التمييز المثمر من غير شذوذ أو طلب شهرة وقد عرف سلف هذه الأمة هذا التمييز المثمر بقول الذهبي -رحمه الله- : الكتابة مسلمة لابن البواب ، كما أقرأ الأمة أبي بن كعب ، وأقضاهم علي ، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالتأويل ابن عـبـاس، وأمـيـنـهـم أبـو عبيدة، وعابرهم محمد بن سيرين، وأصدقهم لهجة أبو ذر، وفقيه الأمة مالك ، ومحدثهم أحمد بن حنبل ، ولغويهم أبو عبيدة ، وشاعرهم أبو تمام ، وعـابـدهـم الـفـضـيـل، وحـافـظهم سفيان الثوري، وأخباريهم الواقدي، وزاهدهم معروف الكرخي، ونحويهم سيبويه، وعروضيهم الخليل، وخطيبهم ابن نباتة، ومنـشـئهم القاضي الفاضل ، وفارسهم خالد بن الوليد رحمهم الله"(5) .
فــلا بـد من مراعاة القدرات والإمكانيات الشخـصـية ، مع عدم إهمال المجالات الدعوية الأخــرى وأن يـكـون فـي أصحاب تلك المجالات اتـصالات وتعاون في جو يسوده المحبة والإخلاص والانصاف ، قـــــال تعالى : ((واعْتَصِمُوا بِحَـبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعــْـدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِـكُـمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً)) [سورة آل عمران 103] ، وقال تعالى:((مُنِيبِينَ إلَـيْــهِ وَاتَّـقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِـمَــا لَـدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) ، [سورة الروم 31-32] .

الهوامش :

1 - الفتاوى 24/ 246 -247 .
2- الفتاوى 24/247-248 .
3- تهذيب مدارج السالكين ص 70- 71 .
4- الفتاوي 7/651 .

5- سير أعلام النبلاء 17/319 .

شعر

ســـــهـــــــاد

حبيب بن معلا المطيري

نام الخلي وبتُّ الـلـيـــل مضطربا أقـلّـــب الـفـكـر فـي أوطاننا عجبا
نصف الديار مناحات مـجـلـجـلة ونصفها أسدَلت من دونها الحجبا
ونحن في ذمـة الأيــام مـلـحـمــة تحكي الـتـناحر والتضليل والكذبا
ونمتطي صهوات الشجب سابحة إن الـسـلامـة فـي الـدنيا لمن شجبا
هـذي الحوادث فـيـنا لا زمام لها تمـضي بـلأوائـهـا لا تعرف الحَدَبا
أوطـانـنا فـي إسـار الـذل كاسفة وقـدسـنـا يـنـفـث الأحـزان والـنوبا
والـكـفـر يـعـبـث فـينا في كرامتنا ويـسـتـبـيـح حـمـانا كـل مـن رغـبا
ونـحـن نسرج خيل الوهم سخرية ونـسـتـجـيـر بمـاضـيـنـا ومـن ذهبا
وحـالنا يعلم الرحمن ظـلـمــتــها آهـات ظـلـم ونـور الـعـدل قـد غربا
يا أمة من أصول المجد دوحتُهــا أرثي لِلعـروبـة أم أرثـي لـك الـعربا
يـا أمـة قـد حـبـاهـا الله مـكـرمة عـزاً يـطـاول فـي عـلـيـائـه الـشـهبا
لـيـل الـعـمـالـة قـد زادت كثافته والـقـلـب يـجـرع غـمـاً نافـثـاً وصـبـا
وفـي الـفـؤاد أحاسـيـس مـروعة فـعـاد مـنـهـا يـعـانـي الـهـم والنصبا
جـرحـان .. أشكوهما لله في لهف خلفَ المـحـب وغـدراً بـات مـقــتـربا
ويـزعـمـون سـلاماً في لـقـائـهـمـو يـقـوده الـغـرب بـئـس الـحـال منقـلبا
أترتـجـيـن سـلامـاً لا يـبـاركـــه ديـن ويـنـكـره عـقـل قـد احـتـجـــبـا
نعطي الســلام عـلـى أرض سـنــفـقـدهـا أين العقول وأين السادة النُّجَبَا
تـالله لا عـــز إلا بـــالجـهـاد ولا يكون مـجـد بـغـيـر الـعــزم مـلــتـهـبا

بريد القراء

- بعض الأخوة القراء يقترحون مشروع المساهمة في التـبـرع باشتراكات لإخوانهم العاجزين عن الاشتراك نظراً لصعوبة التحويل أو لقلة مواردهم المالية . والبيان يسرها فتح هذا الباب للإخوة المقتدرين ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

- الأخ أبو حمزة من المدينة يؤكد على أهمية طرح حلــول للمشكلات التي تواجه المسلمين دون الركون فقط إلى نقد الواقع .

البيان : نشاطرك الرأي والمسؤولية ملقاة على عاتق الجميع .

- الأخ عبد الرحمن آل عبد اللطيف يطـلـب التفـصـيـل عن الحديث عن مشاكل المسلمين والأقليات الإسلامية نظراً لأهمية الموضوع .

البيان : نوافقك على فائدة التفصيل وسنقوم بذلك ضمن إمكانياتنا وعدد صفحات المجلة المحدود ، ونشركم على اقتراحاتكم .
- الأخ أبو مالك يقترح فتح باب مستقل للقضايا الفقهية بشكل متسلسل يكتب فيه بعض طلبة العلم بشكل مختصر ونافع لعموم القراء ، وكذلك صفحة للإجابة على أسئلة القراء (الفتاوى) خصوصاً لمن هم خارج البلاد الإسلامية .
- الأخت رقية الوشمي تقترح حذف التاريخ الميلادي .
البيان : نذكر التاريخ الميلادي مقروناً بالتاريخ الهجري نظراً لاستعمال كثير من المسلمين لهذا التاريخ وعدم معرفتهم بالتاريخ الهجري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
- الأخ منصور الحجي يقترح نشر مقالات د. أحمد إبراهيم خضر على شكل كتيب لتعم بها الفائدة .
- الأخ هشام بن محمد خراز يعقب على قصيدة الشاعر محمود مفلح ص 48 العدد 48 في قوله ".. الزمن الحقير" وهذا فيه سب للدهر مخالفاً لحديث : "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" متفق عليه ، وكذا في العدد 49 ص 55 السطر الخامس إحالة للهامش برقم (3) وهذا الرقم هو للحديث الذي في السطر التاسع فهو المتفق عليه أما الأول فرواه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مما اختلف العلماء في صحته .
البيان : تشكر الأخ هشام على ملاحظاته ، ونحيل ما يتعلق بالقصيدة إلى الشاعر محمود مفلح لعله يُدلي بوجهة نظره في هذا الشأن ، مع شكرنا للجميع .
- من الأخت أم بلال جاءتنا هذه الرسالة :
.. أشكركم على جهودكم التي تبذلونها وما زلتم من أجل خدمة المسلمين ، وكذلك أوجه الشكر الأول والتقدير إلى المنتدى الإسلامي في لندن والذي يبذل الجهد الكبير والمال من أجل خدمة المسلمين ونشر الإسلام والدعوة إلى الله بكل ما يستطيعون ، أثابكم الله على ذلك وجعل هذا العمل في موازين أعمالكم . ويعلم الله أننا فتيات المسلمين في هذه المنطقة بقدر ما نحذر من مجلات الفساد والرذيلة ، بقدر ما ندافع عن المجلات الإسلامية ونحض على شرائها والاشتراك فيها وقد اشتركت مجموعة كبيرة من أخواتي في الله في مجلة البيان من أجل أخذ الفائده منها والمساهمة في المنتدى الإسلامي ، كذلك قمنا مع مجموعة من الأخوات والكثير من الإخوان بجمع التبرعات للمنتدى الإسلامي بلندن عن طريق الشيكات وكذلك التعريف بالمنتدى وتوعية الناس بأهميته .
وكلمة أخيرة أقولها : سيروا على بركة الله وشدوا العزم والعزيمة على مواصلة السير في هذا الطريق وهو طريق الدعوة إلى الله ونشر الإسلام بكل ما تستطيعون .

البيان : جزى الله خيراً الأخت أم بلال وأخوتها في مدينة عنيزة وأن شاء الله تكون البيان وأسرة التحرير عند حسن الظن دائماً .
- الأخ عبد الله بن فهد السليمان
أرسل لنا مستفسراً عن انقطاع القصة القصيرة ومقترحاً التعريف بالمنتدى الإسلامي .
البيان : أنشطة المنتدى تنشر في البيان وقد طبعت كتيبات للتعريف بالمنتدى وأنشطته يمكنك طلبها من مكتب البيان" الرياض . أما انقطاع القصة القصيرة فسببه قلة الإنتاج الجيد الذي يتناسب مع شروط المجلة .

نداء عاجل إلى كل مسلم

قال تعالى : ((ومَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ))

أخي القارئ الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تجدون برفقة هذا العدد تقريراً حياً موجزاً من اللجنة المنتدبة من قبل المنتدى الإسلامي يصور بعض مآسي إخواننا المسلمين اللاجئين من الصومال نتيجة الحروب الأهلية والجفاف ، وهو يناشدكم ويناشد جميع المسلمين للوقوف مع إخواننا في محنتهم ومد يد العون بما تستطيعون وحث من تعرفون للمساهمة في تفريج هذه الكربات وقد صح عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال : "من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" ، كما أن المنتدى الإسلامي يستقبل صدقاتكم وتبرعاتكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة الكرام في المنتدى الإسلامي حفظهم الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..،
فنبعث لكم هذا النداء والمناشدة العاجلة لتبلغوه للمسلمين القادرين على مساعدة إخوانهم المنكوبين بسبب ما تمر به المنطقة من حروب أهلية ومن جفاف .
أيها الأخوة ، إن المأساة التي حلت بالشعب الصومالي المسلم لهي مأساة عظيمة يعجز اللسان عن وصفها والقلم عن تصويرها ولا ندري من أين نبدأ بالكتابة ، هل نبدأ بتصوير الجموع الفقيرة المتناثرة على مرمى البصر تحت شجيرات صغيرة وضع فوقها قطع من الكرتون لا تقي من وهج الشمس ؟ أم نبدأ بالحديث عن تلك المسغبة التي طرحت النساء والشيوخ والأطفال على الأرض لا يستطيعون حراكاً حتى كثرت بسببها المقابر ؟ أم بماذا نبدأ ؟ والله في المستعان .

أيها الأخوة ، إن تلك الصحارى التي يتواجد بها أولئك اللاجئون لا توجد فيها أي من مقومات الحياة الضرورية من غذاء أو ماء أو دواء ، ولقد قمنا بزيارة بعض الأماكن ورأينا - ويا لهول ما رأينا- أطفالاً وكأنهم ليسوا من بني الإنسان لأنهم عبارة عن هياكل عظمية تكسوها جلود رفيعة ولا يستطيعون أن يتحركوا إلا بصعوبة بالغة، رأيناهم يبحثون عن الحياة بأجسام فقدت نضارة الحياة ويهربون من الموت ليواجهوا حياة هي أقسى من الموت أما آباؤهم وأمهاتهم فهم بين الجوع والبكاء وإليكم - أيها الأخوة - أمثلة يسيرة جداً مما رأينا.

رأينا مثلاً في قرية صوفتو داخل الحدود الأثيوبية عائلة عبارة عن مجموعة من العظام لا لحم ولا دم خرجوا إلينا من كوخهم يزحفون على الأرض من شدة الإعياء وانعدام الغذاء ، وهذا مشهد واحد من بين مشاهد لا تحصى ورأينا مثلاً من الأطفال من انتفخت بطونهم بصورة كبيرة ومنهم من تشنجت أطرافهم بل وصل الحالى أننا رأينا أطفالاً جمعوا من الصفات الآنفة الذكر أن ابيضت شعور رؤوسهم ، ولم لا تبيض وهي تواجه هذه الأحوال ؟ وقد أخبرنا بعض أهل المنطقة أن هذه الحالة لم تمر عليهم منذ عشرات السنين ، حتى أن هذه الحالة تسببت في هلاك أسر بكاملها تساقطوا الواحد تلو الآخر في غضون أيام قليلة حتى وصل الأمر في مخيم دولو أنهم ينتزعون الثياب البالية من ذلك الميت ليستفيد منها غيره ومن ثم يكفنونه بالقراطيس أو الكراتين ، بل ربما أدخلوه عارياً في قبره لعدم وجود الأكفان ، هذا إذا كان أهله يستطيعون حفر قبره فضلاً عن أن يجهزوه لأنهم ليسوا بأحسن حال منه قبل وفاته ، وقد قارب الوفيات يومياً مائتين شخص في هذا الخيم..

أما نقص المياه الصالحة للشرب بل انعدامها فحدث ولا حرج حيث أن الناس يشربون من مياه ملوثة لا تصلح للبهائم فضلاً عن بني الإنسان ، وهذا له أثره في انتشار كثير من الأمراض ، أما الأجسام العارية التي لا تجد ثوباً يسترها فهي من المشاهد المألوفة لدى الأطفال بل تعدى الأمر إلى بعض البالغين ، وباختصار فالحالة سيئة جداً ونحن نبعث إليكم هذا النداء العاجل لإنقاذ من بقي على قيد الحياة من هؤلاء لذا نوجز لكم أهم الضرورات وهي كالتالي باختصار :

1- الغذاء العاجل .
2- الدواء .
3- الماء (وذلك بحفر العديد من الآبار السطحية عندهم) .
4- الثياب ، بما في ذلك الأكفان .

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يوفقكم للوقوف إلى جانب إخوانكم المسلمين وأن يعينكم على إيصال هذا النداء للمحسنين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

حرر في كينيا 25/11/1412هـ ، الموافق 26/5/1992 م

الصفحة الأخيرة

الصَحُّ آفة

محمد بن حامد الأحمري

في حلقة تلفزيونية في التلفزيون الفرنـسـي اسـتـضـاف مقدم البرنامج كاتبين جزائرين هما رشيد بوجدره ورشيد ميموني يناقش معهما كتابين أصدراهما بالفرنسية حديثاً تزلفاً لأعداء الإسلام وتفريجاً عن حقدهما الأسود تجاه المسلمين فـي الجزائر . الكتاب الأول "البربرية عامة والأصولية خاصة في الجزائر ، والكتاب الثاني "جبهة الحقد" يصفان فيهما المسلمين الجزائريين بالحقد والفوضوية والقذارة وأنهم يحرموّن كـل مـباح على الناس ، والصحافي المناقش لهما ممن يؤمن بحقوق الإنسان والديموقراطية على طـريقــة اليسار الفرنسي أثبت للكاتبين الجزائرين مولداً "للأسف" كذبهما حيث زعما تزوير الانـتـخـابــات ، وعـــرض مـشـهداً للمظاهرات المنظمة ، والطفل يقرأ القرآن في غاية النظافة ، وذكر لهم بأن جمهور الشعب والـمثقفين في الجزائر وأساتذة الجامعات مع المسلمين ، ثم قال لهما لماذا لا تكتبان عن الـسـجـون الـصـحـراويـة وانـتـهـاك حقوق الإنسان في الجزائر؟ فارتج عليهما ووقفا في العقبة، وظهر للعيان من الحاسد والحاقد !

كـثـيــرون أمـثال هؤلاء تفتح لهم صحافة العدو العربية صفحاتها ، ويصفون أنفسهم بأنهم مـفـكرون ومعلقون سياسيون وروائيون وقصاصون وألقاب لا تنتهي ، وهم جيش من المرتزقة يأكـلــون بشتم الإسلام والمسلمين . وقد كان بعضهم أعضاء في أحزاب سقطت شعبياً وفشلت فكرياً فكان سـبـيـلـهـم اللعب بالكلمات الأعجمية والمترجمة ترجمة سقيمة يرددون ببغاوية مصطلحات من أمثال أصـولية ، وصولية ، إسلاموية ، ظلامية ، نفس الأسلوب الذي كان يواجه به محمد - صلى الله عليه وسلم - والـذيـن مـعــه ، محاولة إطفاء نور الله بألسنة حداد أشحة على الخير ، يتواصون بألا يستمع الناس لـلإســلام ويطالب بوجدره باتحاد لمحاربة الإسلام في منطقة المغرب العربي كلها وكبت صوت الحــق ((وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)) [فصلت:26].

ويبقى الكذب والتزوير والارتزاق مهنتهم مهما كانت ألقابهم منذ القدم إلى اليوم ، وعبـثـاً تحـــاول كـاتبة جزائرية في جريدة "الصح آفة" [بالدليل والبرهان لا بالقراءة في الفنجان، إسـبـوعـيـة سياسية ساخرة] ، أن تذكرهم وغيرهم بمأساة الجزائر في العيد ، أي عيد هذا حيث يطارد الرجال ويحاصرون في السجون وكل عائلة جزائرية حزينة على أحد أقاربها المعتقلين

أو الـمـطـاردين ثم قالت هذه مواقف الرجال سُجنوا وطوردوا من أجلها ، وليتني كنت رجلاً ولو في سـجـن من سجون الصحارى . هكذا كتبت هذه ، الكاتبة المستقلة وليت "الأشباه" يسمعون .

تمت بعون الله ، والحمد لله